الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

الوحي القرآني بين مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز
- دراسة عقدية تحليلية مقارنة -

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية
تخصُّص: عقيدة

إعداد الطالبتين:
رشدان الشيماء
فرجاني مريم

إشراف:
د. زهير بن كتفي

السنة الجامعية : 1441–1442 هـ 2020 – 2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهــداء

إلى أطهر قلبين في حياتنا

"والدانا الأعزاء"

إلى مثال العطاء والتضحية والإيثار

"إخواننا وأخواتنا"

إلى كل من أحبنا بصدق ووفاء

إلى جميع من تلقينا منهم النصح والدعم

نهديكم جهدنا.

شكر وعرفان

بعد رحلة بحث واجتهاد فإننا نشكر الله الذي بفضله تم هذا البحث فله الحمد أولاً وآخرا

كما لا يسعنا إلا أن نخص بأسمى عبارات الشكر والعرفان الدكتور " زهير بن كتفي" لما قدمه لنا من نصح وجهد ومعرفة طيلة إنجاز هذا العمل

كما نقدم شكرنا لكل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد

وخاصة جميع أساتذتنا بمعهد العلوم الإسلامية بالوادي جزاهم الله عنا خير الجزاء

ملخص الدراسة:

تناولت هذه الدراسة مسألة الوحي القرآني بين مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز" وذلك بالاعتماد على كتاب "الظاهرة القرآنية" لمالك بن نبي؛ وكتاب "النبأ العظيم" لمحمد عبد الله دراز. وقد كان هدفنا يتمثل في بيان الرؤية المعرفية والمنهجية لكل منها؛ والمقابلة بين كل من الرؤيتين، ومعرفة مسلك إثباتهما لحقيقة الوحي القرآني في إطار الرد على الرؤية الغربية لمفهوم الوحي عموما. وقد وظفنا في دراستنا لذلك أربعة مناهج أساسية: المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن.وقد اتضح أنَّ تصور محمد عبد الله دراز ومالك بن نبي لمسألة الوحي مثَّل رؤية جديدة تستمد عناصرها من القرآن الكريم والسنة النبوية وأيضا من الشواهد التاريخية ومناهج العلوم الحديثة والتحليلات العقلية والنفسية بطريقة علمية تقوم على المنهج، والتركيز على عناصر الموضوع الجوهرية بأسلوب مبدع و حجة قائمة وأدلة كافية وإجابة شافية. كما أكَّدا على أن السياق الذي نزل فيه هذا الوحي ووَضْعُ تلقي الرسالة، كلها شواهد لا تدل إلا على الحقيقة العليا للقرآن الكريم وأنه معجز إلى يوم الدين.

Abstract :

This study dealt with the issue of the Qur'anic revelation between Malik bin Nabi and Muhammad Abdullah Diraz" by relying on the book "The Qur'anic Phenomenon" by Malik bin Nabi and the book " The Great News" by Muhammad Abdullah Diraz. Our goal was to clarify the epistemological and methodological vision for each of them, and the interview Between each of the two visions, and knowing the way to prove the truth of the Qur'anic revelation in the context of responding to the Western vision of the concept of revelation in general .We have employed in our study for this four basic approaches: the inductive approach, the descriptive analytical approach, the comparative approach, in addition to the critical approach. This study showed that Malik bin Malik's handling Prophet and Muhammad Abdullah Diraz the issue of revelation was with a new vision that derives its elements from the Holy Qur'an and the Sunnah in particular, as well as from historical evidence, modern science curricula, and mental and psychological analyzes in a scientific way based on the curriculum and focusing on the essential elements of the subject in a creative manner, an existing argument, sufficient evidence and a satisfactory answer. They emphasized that the context in which this revelation was revealed and the situation of receiving the message are all evidence that only indicates the supreme truth of the Holy Qur'an and that it is miraculous until the Day of Judgment.

مقـــدمـــة

بداية وقبل كل شيء باسم الله نبتدي وبآياته نهتدي وبنبيه عليه الصلاة والسلام نقتدي هو رسولنا ورسالة الله لنا ووسيلته إلينا ووسيلتنا إليه.

قال تعالى:

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[الأحزاب:38-40]وقال أيضا:

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾[الأحقاف:9-12]

1-التعريف بالموضوع:

إن الوحي مسألة ترتبط بالإنسان؛ بداية بأمنه النفسي الذاتي والاجتماعي العملي وصولا إلى الانفتاح الحضاري،كونه قوة الخطوة الأولى وسلامة النتيجة الآخرة بقدر الاجتهاد في الأخذ منه. نظرا لمنظومة اجتماعية تجعل الإنسان عموما والمسلم خصوصا، دائم اللهث وراء أشياء تعبر عن المعنى القرآني، في قوله تعالى :

﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[الكهف: ١٠٤]

إننا لا ننكر دورة الشهادات المادية الدنيوية، لكننا نمقت طغيانها على الحياة،لتعبر عن الضرورة الذاتية والإشكالية الواقعية والجانب الحقيقي من مسألة"تحقيق الدين وطاعة المرسلين وتفعيل الهدي المبين"،فيصبح واقعنا بعيدا عن القرآن كونه الأصل في سيرنا والمنهج لنجاتنا والسفينة في عبورنا. لنصل بذلك لبناء العقيدة بناءا سليما في إثبات الوحدانية، والفصل

الواضح بين ذات الخالق وذات المخلوق، والتعرف إلى ظاهرة الوحي وأسرارها المعجزة، بداية بمعارضة القرآن وإنكاره في العهد النبوي من قبل المشركين وغيرهم من أهل الكتاب لتبقى موروثة الأصول في اعتراضاتها إلى عصرنا هذا، إذ أبدت الدراسات الاستشراقية بالغ المجهود في دراسة هذه الظاهرة، ومحاولة أنسنة هذا الخطاب ونفي مصدريته العلوية والتشكيك فيه.
ما يجعل توضيح مفهوم الوحي القرآني في رؤية كل من مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز كرائدين بامتياز ناقشا قراءات المستشرقين والغربيين مطلبا أساسيا لمعرفة الخلفية المعرفية والآراء التأويلية له، للوقوف على مراميها وافتراضاتها.

2-أهمية الموضوع:

ترجع كل القضايا العقدية المثارة اليوم إلى قضية التشكيك في الثوابت الدينية الإسلامية ومحاولة وضع مغالطات ضمن الإطار الجدلي الحضاري مع الآخر مما يجعلنا بحاجة ماسة إلى معرفة البنى الأساسية التي عليها يكون لدينا اليقين في ما نعتقد من عدمه بوصف مبنى الأعمال على المعتقدات والمسلَّمات الأولية للإنسان.مما يجعلنا اليوم بحاجة أكثر إلى تفعيل مقتضيات العقيدة في ميدان الحياة؛ لتكون بذلك أساسا فاعلا لا شيئا غيبيا وجزئيا في الحياة.

إذ تناقش هذه المذكرة"الوحي القرآني" بصورة عامة و الجانب الاعتقادي بصورة خاصة من خلال تحليل بعض الأطروحات المنهجية للتعامل معه في إطار نموذج مقاربة بين مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز.

لايبدو لدينا اليوم إشكال في الحصول على المعرفة بقدر ما هو موجود في تطبيقها ما جعلنا نختار دراسة هذين المفكرين:محمد عبد الله دراز في كتابه "النبأ العظيم" ومالك بن نبي في كتابه "الظاهرة القرآنية". لما لديهما من تفعيل لمقتضيات الطرح الكلامي الموافق لروح العصر في ظل ما واجهته ذهنية المسلم من عواصف خارجية وداخلية ليست بالهينة ولا بالهامشية أو الاعتباطية، فقد درسا بالمدرسة الغربية وهما يعالجان نفس القضية عامة في إطار المنهج الغربي والدراسات الكتابية الحديثة التي تعتمد الفحص التاريخي، والنقد النصي، والتحليل النفسي والسيميائي في دراسة النص الديني؛ ذلك ما طبقته المدرسة الغربية على

الكتاب المقدس بعهديه، إذ يُراد سحبه على القرآن الكريم، بتعميم غير علمي وغير منهجي من خلال إهمال النص القرآني، وحشره في مقولات موجهة أساسا للنصوص الدينية الكتابية.

3-إشكالية البحث:

تعبر إشكالية البحث عن محاولة في التعرف، على رؤية كل من محمد عبد الله دراز ومالك بن نبي للوحي القرآني؛ في إطار إثبات مصدريته الإلهية وبناء على هذا يتمثل سؤالنا الرئيسي في ما يلي:

كيف أثبت كل من مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز حقيقة الوحي القرآني؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسي أسئلة جزئية أخرى تستهدف الحديث عن:

مسألة مفهوم الوحي القرآني عموما، وعن كيفية ردهما للشبه المثارة عند المستشرقين ومن تبعهم خصوصا، وعن مواضع الاتفاق والاختلاف بين كل منهما في دراسة موضوع الوحي القرآني.

4-أهداف الموضوع:

وتظهر الأهداف المرجوة في هذا البحث في محاولة:

-ترسيخ الإيمان من خلال إثبات أن القرآن الكريم إلهي المصدر .

-الوقوف على أهم المسائل المطروحة عن الوحي لكل من محمد عبد الله دراز ومالك بن نبي.

5-الدراسات السابقة:

وقد توضح لنا من خلال محاولتنا في جمع المادة العلمية لهذا البحث العديد من الدراسات والأبحاث التي كتبت لإثبات مصدرية القرآن إلا أننا لم نجد أية دراسة مستقلة خاصة بـ" محمد عبد الله دراز "، وأهم ما استعنابه، مقال الباحث أحمد الزاوي "حقيقة الوحي للعلامة دراز" والتي عبرت عن رؤية تحليلية كدراسة مصغرة للمسألة عند الشيخ دراز. ونجد في من تطرق لظاهرة الوحي عند مالك بن نبي دراسة علمية للباحث اصبيع محمد الساعي الموسومة بـ: "النبوة والوحي في كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي دراسة تحليلية"عبارة عن بحث علمي نُشر لصالح مجلة دار المنظومة استفدنا منه في أهم القضايا التي طرحها مالك بن نبي في كتابه ممثلة بمسألة النبوة ودور شخصية الرسول ﷺفي الوحي ثم خصائص الوحي. ودراسة الباحثتين مريم العمري وحنان محراز في مذكرة تخرج درجة الماستر

بعنوان "جهود مالك بن نبي في الرد على المستشرقين "ظاهرة الوحي أنموذجا". وقد كانت دراسة وصفية أكثر منها تحليلية وقد عبر منطوق كلامهما على صعوبة تدارسهما لأفكار مالك بن نبي إذ تبدوا أنها كانت التجربة الأولى لهما في دراسة فكر مالك بن نبي.

وعموما استفدنا من هذه الدراسات في بناء فكرة الموضوع أو من ناحية التقسيم وغير ذلك، لكن بحثنا هذا يختلف عنها باستهدافه موضوع الوحي القرآني بين المفكرين في سياق تحليلي مقارن.

6-أسباب اختيار الموضوع:

يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى أسباب ذاتية وموضوعية:

أ- الأسباب الموضوعية:

- ما قام به "مالك بن نبي" و" محمد عبد الله دراز" من دراسة للنص القرآني وتاريخ نزوله وتدوينه وشخصية النبيﷺ،مع التنبيه إلى عدم صحة استنتاجات الغربيين لنتائجهم فيما يتعلق بالنص القرآني. في ظل ما واجهته بعض العقول الإسلامية تحت ستار التفتح والعلم والحيادية والموضوعية، محنة الانجراف الفكري والتبعية الغربية ممثلة بأطروحات الحداثيين ومشاريعهم.

-غياب دراسة مستقلة لموضوع الوحي القرآني بين المفكرين مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز.

ب- الأسباب الذاتية:

- الحرص على مطلب اليقين بالعقيدة الإسلامية لنزيد على الإيمان حجة وبرهان، كمطلب ضروري وواقعي في ظل الواقع المعاصر للمسلم والذي يعيش حصارا فكريا يلافيه التشكيك من جهة والتفلت من جهة أخرى، مما قد يجعله في هزة إيمانية ، وذلك ما يتطلب الإرساء للإيمان، بدافع التمسك الديني والقبض عليه في جمرة الفتن.

- الرغبة في الاطلاع على فكر كل محمد عبد الله دراز ومالك بن نبي في قضية جوهر ديننا الإسلامي وأساسه .

7-منهج البحث:

نظرا لما تتطلبه هذه الدراسة؛ الموضحة في عنوان البحث الموصوف بالتحليل والمقارنة من الجانب العقدي وعليه فإن منهج البحث سلك عدة مناحي:

1-المنهج الاستقرائي:

ويظهر هذا جليا في محاولة تتبع و استقراء نصوص كل من مالك بن نبي من خلال كتابه الظاهرة القرآنية ومحمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم" نظرات جديدة في القرآن الكريم " وفهم الصورة العامة للموضوع.

2-المنهج الوصفي والتحليلي:

من خلال الكشف والوقوف على المنظور المطروح في مسألة الوحي القرآني لكل من المفكرين؛ وصفا دقيقا وكيفيا،وذلك بتحليل المعطيات المعتمدة في دراستنا ما أمكن، والممثلة بكتابَي الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي وكتاب النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز.

3- المنهج المقارن:

والمستعمل في المبحث المقارن كوسيلة للوصول إلى نقاط الاختلاف والتشابه.

7-الصعوبات:

كما واجهنا في هذا البحث صعوبة نوعية تتمثل في:

-طرْح مالك بن نبي الذي تطلب منا عملا مضاعفا في تحليل آرائه وفهم منهجه والموازنة بين مقدماته التي وضعها والنتائج التي وصل إليها مما حاز على قدر أكبر في العامل الزمني لدراسة ما طرحه وما استخدمه من مصطلحات في أغلب أفكاره التي اتسمت بشيء جديد في الساحة الفكرية للدراسات الإسلامية وإلا فإنها مألوفة بالنسبة لدراسات العلوم الاجتماعية كمصطلحات ومناهج والاختلاف الجوهري يظهر في تطبيقها على هذا الموضوع.

-صعوبة الوصول إلى بعض المراجع نظرا لخصوصية الجهة المقدم إليها تلك المراجع التي تتطلب اشتراك الجهات الجامعية المسؤولة، وتمنع دون ذلك الحصول عليها.

9-خطة البحث:

اعتمدنا في بحثنا خطة احتوت على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وهي كالآتي:

المقدمة: احتوت على المضامين الأساسية لأي مقدمة كالتعريف بالموضوع وأهميته والإشكالية وغيرها من المفردات الأخرى.

المبحث الأول: جاء بعنوان مدخل تمهيدي، حيث قسمناه إلى ثلاثة مطالب ففي المطلب الأول:تطرقنا إلى مفهوم الوحي القرآني في المدرسة الإسلامية والمطلب الثاني:إلى مفهوم الوحي

القرآني عند المستشرقين والمطلب الثالث : عرفنا فيه الشخصيات والكتب المعتمدة في الدراسة.

المبحث الثاني: فقد كان بعنوان الوحي القرآني عند مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز، مقسما إلى مطلبين؛ تضمن المطلب الأول: الوحي القرآني عند محمد عبد الله دراز والمطلب الثاني :تناولنا فيه الوحي القرآني عند مالك بن نبي.

المبحث الثالث: كان مبحثا مقارنا بين كل من مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز فالمطلب الأول: تضمن أوجه تشابه رؤية كل منهما، والمطلب الثاني: حرَّرنا فيه أوجه الاختلاف.

الخاتمة: فقد حاولنا الإجابة فيها عن إشكالية البحث والوصول إلى جملة من النتائج.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه تسليما كثيرا.

المبحث الأول: مدخل تمهيدي

المطلب الأول:مفهوم الوحي القرآني في المدرسة الإسلامية

المطلب الثاني:مفهوم الوحي القرآني في المدرسة الاستشراقية

المطلب الثالث: التعريف بالشخصيتين والكتب المعتمدة

مدخل تمهيدي

الوحي وسيلة الله إلى البشر، ليعلمهم بأمور توقّفت عنها عقولهم، وهو مفهوم ذو مدلول واسع، يجعلنا في حاجة للوقوف على معاني حقله الدلالي؛ هذا ونجد ممن يدرسه برؤية تختلف عن أصله في سابق وحي الله لأنبيائه ورسله؛ خاصة منهم المستشرقين في دراسات تاريخية وبنيوية[1] ونفسية.مع انتشار بذور المدرسة التفكيكية[2]ونقدها للكتاب المقدس.ومن هنا نبدأ بمعالجة مفهوم الوحي القرآني بين المدرسة الإسلامية والدراسات الاستشراقية، ثم التعريف بمحمد عبد الله دراز وكتابه "النبأ العظيم"وبمالك بن نبي وكتابه "الظاهرة القرآنية".

المطلب الأول :مفهوم الوحي القرآني في المدرسة الإسلامية

الفرع الأول:في مفهوم الوحي بين اللغة والاصطلاح

أولا: الوحي لغة:

1-**وَحَى**:"الْوَاوُ وَالْحَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِلْقَاءِ عِلْمٍ فِي إِخْفَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ إِلَى غَيْرِكَ(...) وكلُّ مَا أَلْقَيْتَهُ إِلَى غَيْرِكَ حَتَّى عَلِمَهُ فَهُوَ وَحْيٌ كَيْفَ. وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى وَوَحَى، وَالْوَحِيُّ: السَّرِيعُ: وَالْوَحَى: الصَّوْتُ[3].

---

[1] البنيوية: منهج فكري وأداة للتحليل، تقوم على فكرة الكلية أو المجموع المنتظم. ويمكن تصنيفها ضمن مناهج النقد المادي الملحدة. اهتمت بجميع نواحي المعرفة الإنسانية، واشتهرت في مجال علم اللغة والنقد الأدبي، اشتق لفظ البنيوية من البنية إذ تقول: كل ظاهرة ، تشكل بنية، ولدراسة هذه البنية يجب علينا أن نحللها (أو نفككها) إلى عناصرها المؤلفة منها، دون النظر إلى أية عوامل خارجية عنها.مجموعة مؤلفين"الندوة العالمية للشباب الإسلامي"، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف ومراجعة:مانع بن حماد الجهني،ط4، دار الندوة العالمية، 1420هـ، ج٢، ص ٨٩٧.

[2] التفكيكية: هي ترجمة شائعة مباشرة ومعجمية لعبارة «دي كونستراكشن deconstruction» ،وهو هدم كل الأيديولوجيات التي تُخادع ذاتها بالضرورة وتتصور أنها تفلت من التاريخانية النسبية ومن قبضة الصيرورة. وتحاول تفكيك أو تقويض النص فتبحث داخله عما لم يقله بشكل صريح واضح (المسكوت عنه) وهي تعارض منطق النص الواضح المعلَن وادعاءاته الظاهرة، بالمنطق الكامن في النص(...)لتعرية للنص وكشف أسراره وتقطيع لأوصاله وصولاً إلى أساسه الذي يستند إليه(...) فتسقط عنه قداسته وزعمه بأنه كلٌ ثابتٌ متجاوزٌ(...) إذ تظهر الهوة الموجودة داخله ويظهر عدم تماسك النص وانعدام اتساقه الداخلي فيتعثر المعنى الظاهر ويتناثر، وتنزلق الدلالة من عالم تَرابُط الدال والمدلول إلى عالم من اللا تحدد.عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،ج2، ص163-166.

[3] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون،(د.ط)،:دار الفكر 1979م،ج6،ص93.

2-وحي: ""الإشارة" و"الكتابة" و"الرسالة" و"الإلهام" و"الكلام الخفي". ويقال: وحيت إليه الكلام وأوحيت(...)، وأوحى إليه: بعثه[1].

3- ذكر الزبيدي أقوال العلماء الأربعة في شأن وحي الله تعالى لأنبيائه، وهي كالتالي:

-ابن الأعرابي[2] يقول: "أوحى الرجل إذا بعث برسول ثقة إلى عبد من عبيده ثقة، وأوحى أيضا إذا كلم عبده بلا رسول، (..)والوحي: ما يوحيه الله إلى أنبيائه".

-ابن الأنباري[3]في قوله: "أنا مؤمن بوحي الله"، قال: سمي وحيا "لأن الملك أسره على الخلق وخص به النبيﷺ المبعوث إليه؛ وقيل في قوله تعالى: "وإذ أوحيت إلى الحواريين"؛ أتيتهم في الوحي إليك بالبراهين والآيات التي استدلوا بها على الإيمان ".

-قال الأزهري[4]: وقوله عز وجل﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾[القصص:7]الوحي هنا إلقاء الله في قلبها،وما بعد هذا يدل، على أنه وحي من الله"[5].

-وَقَالَ الرَّاغبُ[6]: "أَصْلُ الوَحْي الإشارَةُ السَّريعَةُ وذلكَ يكونُ بالكَلامِ على سَبيلِ الرَّمْز والتَّعْرِيضِ، ويكونُ بصَوْتٍ مُجرَّدٍ عَن التّرْكيبِ، وبإشارَةِ بعضِ الجَوارِحِ بالكِتابَةِ وغَيْر ذلكَ، ويقالُ للكَلِمَةِ الإلهيةِ الَّتِي تُلْقى إِلَى أَنْبيائِه وأَوْليائِه وَحْيٌ، وذلكَ إمَّا برَسُولٍ مُشاهِد تُرى ذَاته ويُسْمع كَلامه كتَبْليغ جِبْريل فِي صُورَةٍ مُعَيَّنة، وإمَّا بِسَمَاع كَلام مِن غَيْر مُعاينةٍ كسماعِ موسَى

---

[1] ينظر: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر،1414هـ ، ج15، ص379-380.

[2] إمام اللغة أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي،، ولد بالكوفة سنة خمسين ومائة، له مصنفات كثيرة أدبية (تاريخ القبائل)، ينظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط:3،مؤسسة الرسالة،، ج10،ص680-681.

[3] الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون ، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري،ولد سنة اثنتين وسبعين ومائتين،صنف في علوم القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء،ينظر: الذهبي،سير أعلام النبلاء، ج15،ص274-276.

[4] أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر، توفي سنة سبعين وثلاث مائة ،عن ثمان وثمانين سنة،له كتاب تهذيب اللغة،وكتاب التفسير،وعلل القراءات وكتاب الروح، ينظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج16،ص315-317.

[5] المرتضى الزبيدي"أبو الفيض"، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة محققين، (د.ط)، دار الهداية،(د.ت)، ج40، ص171.

[6] الراغب الأصبهاني: هو الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني،له عدة تصانيف منها : الذريعة إلى مكارم الشريعة وكتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ينظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج18،ص120-121.

كَلامَه تَعَالَى، وإمَّا بإلْقاء فِي الرَّوْعِ كَحَدِيث: "إنَّ جِبرْيل نَفَثَ فِي رَوْعي"، وإمَّا بإلْهامٍ نَحْو قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾[القصص:7]، وإمَّا بتَسْخيرٍ نَحْو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[النحل: 68]،وإمَّا بمَنامٍ كَمَا دلَّ عَلَيْهِ: حديثُ: لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إلاَّ الْمُبَشِّرَاتُ. قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ قَالَ:الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ[1] .أَوْحَتْ (نَفْسُهُ) : إذا وَقَعَ فِيهَا خَوْفٌ"[2].

–وقال أبو إسحاق[3]: "(...) أن يوحي إليه وحيا فيعلمه بما يعلم البشر أنه أعلمه، إما إلهاما أو رؤيا، وإما أن ينزل عليه كتابا. واستوحيناهم أي استصرخناهم. واستوح لنا بني فلان ما خبرهم أي استخبرهم. وشيء وحي: عجل مسرع. وفلان يوحي أباه أي يبكيه"[4].

ثانيا– الوحي في الاصطلاح الشرعي:

هو:" أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر[5].

عَنِ "الزُّهْرِيِّ[6]"أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْوَحْيِ فَقَالَ: الْوَحْيُ مَا يُوحِي اللَّهُ إِلَى نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَيُثْبِتُهُ فِي قَلْبِهِ فَيَتَكَلَّمُ بِه وَيَكْتُبُهُ وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَمِنْهُ مَا لَا يَتَكَلَّمُ بِهِ وَلَا يَكْتُبُهُ لْأَحَدٍ وَلَا يَأْمُرُ بِكِتَابَتِهِ وَلَكِنَّهُ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ حَدِيثًا وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ أَنْ يُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ ويبلغهم إياه[7].

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري،كتاب التعبير، باب المبشرات، حديث رقم: 6990، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ،ج9، ص31.

[2] المصدر السابق،الزبيدي، تاج العروس،ج٤٠، ص172.

[3] الأديب ، شاعر المغرب،أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم القيرواني، توفي : سنة ثلاث وخمسين ،له كتاب زهر الآداب، وكتاب المصون في الهوى،ينظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء،ج18،ص139.

[4] ينظر: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب،ج15،ص 381-382.

[5] محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط:3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، (د.ت)،ج1،ص63.

[6] ابن عوف اسماعيل بن مكي بن اسماعيل الزهري،شيخ المالكية ولد سنة خمس وثمانين وأربع مائة ، وتوفي سنة إحدى وثمانية وخمس مائة ،وهو فريد في الفقه، ينظر:الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج21،ص122.

[7] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، ج1،ص160.

وفي المدخل لأبي شهبة: يذكر له ثلاث معاني:

-يطلق ويراد به المعنى المصدري، ويطلق ويراد به المعنى الحاصل بالمصدر، ويطلق ويراد به: الموحى به.

-وأنه: «إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة»فهو أخص من المعنى اللغوي لخصوص مصدره ومورده؛ فقد خص المصدر بالله سبحانه، وخصّ المورد بالأنبياء.

-وأنه ما أنزله الله على أنبيائه، وعرّفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم، ومنهم من أعطاه كتابا، ومنهم من لم يعطه[1].

ويعرفه الشيخ محمد عبده بقوله:" عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت"[2].

ونحن نرى أن هذا المعنى ليس بأمر يدل على الوحي فالعرفان يعبر عن "المعرفة الذوقية" أو "الإشراقية" وهذا ليس بنبوة وإنما يدخل في دائرة الولاية فالنبوة اصطفاء وليست باجتهاد بشري يحصل عليه المرء نتيجة مكابدة؛ فهي خاصية النبي.وهذا هو الفرق بين المعرفة النبوية وبين المعرفة الفلسفية؛ أو الحِكمية.

فمن خواص المعرفة النبوية تسديد الإنسان حتى يفعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي من الوجه الذي ينبغي من أجل ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي وإكمال الفطر الناقصة. والإخبار بالأشياء التي ليست في قوة النفس الفلسفية أن تعلمها [3].

-أنواع الوحي بالمعنى الشرعي:

1- ما يكون منامًا: وهو أول مراتب الوحي كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ،وعند مسلم الصادقة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح الحديث"[1]

---

[1] محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم،ط3،الرياض،دار اللواء،1987م،ص82.

[2] محمد عبده، رسالة التوحيد،(د.ط)، دار الكتاب العربي،١٩٦٦م، ص٥٧.

[3] ينظر: أبو محمد عبد الله بن محمد السيد، الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة،ط1،دمشق، دار الفكر،ص54.

وليست الرؤيا خاصة بالفترة الأولى من الوحي بل وقعت بعد ذلك كما قال تعالى:

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾[الفتح:27]

2–ما كان مكالمة بين العبد وربه:

-قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾[الشورى: 51]

ومن هذا النوع تكليم الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام.

ومنه تكليم الله لنبينا محمد ﷺفي المعراج حيث قال: "فأوحى الله إلي ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة"[2].

3- ما يكون إلهامًا يقذفه الله في قلب نبيه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعًا ولا يجد فيه شكا، ومنه حديث ابن مسعود رضي الله عنهأن رسول الله ﷺ قال: "إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب" [3].

4- **ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام:**

وهذا النوع أشهر الأنواع وأكثرها، وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي ووحي القرآن كله من هذا القبيل ولم ينزل شيء من القرآن على الرسول ﷺ بغير هذا النوع كالإلهام أو المنام أو التكليم بلا واسطة يدل على هذا[4]،قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

---

[1] المصدر السابق :البخاري، الجامع الصحيح ،كتاب بدء الوحي، باب كيف بدئ الوحي إلى رسول اللهﷺ ، رقم الحديث 3،ج1، ص7.

[2] مسلم، الصحيح ، كتاب الإيمان،باب الإسراء برسول الله إلى السموات، وفرض الصلوات،حديث رقم:74،تحقيق: عدد فؤاد عبد الباقي،(د،ط)،بيروت،دار إحياء التراث،(د،ت)،ج1،ص145.

[3] أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي المصري ،مسند شهاب،باب "إن روح القدس نفث في روعي"،حديث رقم:1151،تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي،ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة،1986م،ج2،ص185.

[4] فهد بن عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط12، (د.ن)، 2003م، ص177.

[الشعراء: 192-194][1] وقَالَ تَعَالَىٰ:

﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾[النحل :102]

والوحي بالمعنى الشرعي بجميع أنواعه يصحبه علم يقيني ضروري من النبي ﷺبأن ما ألقي إليه حق من الله وليس وحي نفسه وحديثها أو تلبس شيطاني أو سحر إنسي، وهو لايخرج عن المعنى اللغوي.فهو بالمعنى اللغوي عام يشمل كل "إعلام في خفاء" والوحي بالمعنى الشرعي خاص لا يتناول إلا ما كان من الله تعالى لنبي من الأنبياء.

الفرع الثاني : القرآن في اللغة والاصطلاح

1-تعريف القرآن :أ-لغة:

بتتبع معاني كلمة القرآن في كتب اللغة تبيَّن أنها تدور على معانٍ منها:

بمعنى: "قَرَأتُ الشيء قرآنا، جمعته وضممت بعضه إلى بعض. وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمِّي القرآن. لأنه يجمع السُّوَرَ فيضمها. وفي قوله تعالى: " إنَّ علينا جمعه وقُرْآنَه" أي قراءته. وفلان قرأ عليك السلام وأقراك السلامَ، بمعنًى. وأقرأه القرآن فهو مُقْرِئٌ. والقُرَّاءُ: الرجل المتنسِّك،والجمع القُرَّاؤونَ"[2].

-ويقال قَرأتُ القرآن: أي لَفظْت به مجموعاً: أي ألقيتُه[3].وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض وهو مصدر كالغفران قال وقد يطلق على الصلاة لأن فيها قراءة من تسمية الشيء ببعضه؛ ويقال قرأ يقرأ قراءة وقرآنا والاقتراء افتعال من القراءة .[4]

ب-اصطلاحا:تعددت تعاريف القرآن كونها محاولات لاستيفاء الشروط الوظيفية للحدود وسلامتها لتعبر عن القرآن بخصائصه وبما يحترز أن يدخل فيه من أنواع الوحي الشرعي من حديث قدسي أو حديث نبوي وعليه فإننا نورد له منها ما يأتي:

---

[2]الجوهري،الصحاح في اللغة،(د.ط)، (د.ن)،(د.ت)،ج2،ص67.

[3] رضي الدين الحسن بن محمد ، العباب الزاخر،(د.ط)، (د.ن)،(د.ت)، ج1،ص36.

[4] المصدر السابق، أبو الفيض الزَّبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس،ج 1،ص191.

-القرآن هو المنزل على الرسولﷺ المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلا متواترا بلا شبهة.[1]

-القرآن هو اللفظ العربي المعجز، الموحى به إلى محمد ﷺبواسطة جبريل عليه السلام، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصحف،المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس[2].

المطلب الثالث: الوحي القرآني من المنظور الاستشراقي

الفرع الأول :مفهوم الوحي عند المستشرقين

يدور الكلام في هذا المقام حول" تفسيرات المستشرقين للوحي" والتي تعبر عن عدة شبهات في: حقيقة الوحي ومصدريته؛ وإعطاء تفسيرات مغايرة لما ورد في مظاهر الوحي؛ وفهمها بمنطق يهدم أساس الرسالة ووسيلتها؛ بافتراض خارج عن إطار مفاده أنه علم استفاده من اليهود والنصارى أو كونه شيئا من لبس جنون أو نوبات لا تمت لأصل كل ذلك. لكن الله نزّههﷺ عن كل ما قد يلحقه من افتراء أو تشكيك أو زيف فقال في كتابه العزيز: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾[النجم :5]

فهو المرسِلُ سبحانه، وهو المعلم وهو من يعصمه؛ والحافظ لمن ولما أرسَل .لذا جاءت الآراء كثيرة مبثوثة في هاته الدراسات المقصودة والمعتمدة وللأسف لدى الكثير في رسم صورته لهذا الدين العظيم ولرسالته ورسوله ﷺ؛ لكن الحق لا يخفى فما جاءت رسالته سبحانه عبثا.نمثل لهذه الآراء أو الأوصاف بما يأتي:

1- انتهى بعض المستشرقين في الوقت المعاصر خاصة «وات[3] Montgomery Watt» إلى القول بأن الوحي كان (نوعًا من التعبير الخيالي ولكنه مصحوبٌ بدون شكٍّ برؤيةٍ عقليةٍ أو خياليةٍ لجبريل). وبناءً على ذلك يرون أن الوحي القرآني ليس شيئاً خارجاً عن الذات المحمدية"ولكن؛ اللقاءواضحٌ والتلقي كان يتم بين ذاتين: ذات النبي «المتلقي» وذات جبريل «الملقي» بأمر الله، فهما ذاتان منفصلتان تمام الانفصال وآيات القرآن ووقائع السيرة

---

[1] علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1،بيروت، دار الكتاب العربي،1405هـ.

[2] مصطفى ديب البغا ومحيي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، ط٢، دمشق، دار الكلم الطيب/ دار العلوم الإنسانية، ١٩٩٨م ص ١٥.

[3] مونتجمري وات(1906-٢٠٠٦م): مستشرق بريطاني عميد قسم الدراسات العربية في جامعة ادنبرا.أشهر كتبه"محمد في مكة".ينتظر: نجيب العقيقي، المستشرقون،ط٣، مصر، دار المعارف،١٩٦٤م، ج١، ص٥٥٤.

النبوية تؤكدان على هذه الحقيقة، فالموحى به من خارج ذات محمدﷺ فضلاً عن أنه لم ينسب ما جاء به لنفسه وإنما أعلن أنه من خارج ذاته[1].

2- ويرى المستشرق" جولد تسيهر"Ignaz Goldziher[2] أن الوحي المحمدي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية وغيرها وتأثر بها تأثرا عميقا، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه (...) فأدركه بقوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه (...) وصار يعتبر هذه التعاليم كتابا إلهيا فأصبح على يقين بأنه آداء لهذا الوحي". يقول الشيخ محمد الغزالي : "هل هذا المستشرق ينكر الوحي جملة؟ فيسقط ديانته قبل الديانة التي يهاجمها أم أنه تكذيب لأحد من الأنبياء دون من سواه؟"[3].

فهذا ما جاء به الرسل من قبله لكن إباء الإرث الديني خاصة وسلطانه يعمي الإنسان عن سواء السبيل

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الأنبياء:24]، وهو ما يثيره المستشرقون في الفرض الذي يجعل" الوحي صورة ذاتية في النفس النبوية الشريفة" ﷺ؛بعيدا عن إلهية الخطاب وعصمة المخاطب به ووساطته.

3-والوحي في رأي المسشترق"**إيميل درمنغام** Dermenghem Emile"[4]ليس إلا وحيا من نفس الرسولﷺ لا وحيا من رب العالمين.وأن القرآن "فيض من وجدانه"ﷺ

---

[1] محمود ماضي،الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، ط1، الإسكندرية، دار الدعوة 1996م، ص129.

[2] جولد تسيهر"اجنتس"(1850-0921م): مستشرق مجري من أسرة يهودية لها مكانة وقدر كبير.مما كان له أثر في تحديد وتشكيل نظرته للحياة العامة،اتجه إلى الدراسات الشرقية في سن السادسة عشرة.اشتهر بتحقيقه في تاريخ الإسلام وعلوم المسلمين وفرقهم.وهو يعد من أعلام المستشرقين.أشهر أبحاثه: "محاضرات في الإسلام"، كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام، ظفر بالدكتوراه الأولى1870م وكانت رسالته عن شارح يهودي في العصور الوسطى شرح التوراة.ينظر: عبد الرحمن بدوي،موسوعة المستشرقين،ص197-199. و يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، (د.ط)، كتب عربية، (د.ت)، ص436.

[3] محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة، ط7، نهضة مصر، 2005م،ص17.

[4] وات درمنغام: مدير مكتبة الجزائر ، من مؤلفاته: حياة محمد ،(باريس 1929)،محمد والسنة الإسلامية. ينظر: يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين ،ص204.

و"صورة من انطباع نفسي"؛فأنزل النبوة منزلة الهلوسة وحديث النفس. متبعا في ذلك نظرية الإغريق في النبوة ،الذي ذهب إلى أن الجسد سجن النفس؛وأن الإنسان أيُ إنسان إذا أجاع الجسد وأمرضه؛ انطلقت نفسه وعندها تتصل بالعالم العلوي فتسمع أصواتا وترى أشباحا،وهذا الأخير محل إسقاط المستشرق "درمنغام" على محمد ﷺ[1].

والوحي بهذا المفهوم يخرج فيه عن كونه بلاغا إلهيا، رسالة ربانية لا يدخل النبي ﷺ في تركيبها أو إنشائها أو تأليفها لأنه مما لا طاقة للبشر عليه .

وربما كان اللاهوتي الكاثوليكي الألماني "يوهان آدم مولر" Johan adam mohlar(1796-1838) أول من اعترف من العلماء الألمان باستقلالية القرآن بوصفه كتابا دينيا ذا نكهة خاصة به نشأ نتيجة خبرة دينية أصيلةيعبر عنها بتأملات محركة للمشاعر.ينظر مولر إلى النبي محمد باحترام معتبرا أن الكتاب الذي أتى به لابد من أن يكون من ملء فياض. وهذا الكلام يشبه إلى حد بعيد ما ذكره نولدكه Theodor Noldeke[2] في الجزء الأول من كتاب تاريخ القرآن.في وصف الوحي والخبرة الدينية الصادقة التي عاشها النبي العربي.[3]

الفرع الثاني: لفظة القرآن في المنظور الاستشراقي:

لقد أبدت الدراسات الاستشراقية اهتماما كبيرا بدراسة التراث الإسلامي؛ لكن الاهتمام الأكبر كان منصبا على القوة الدينية المحركة؛ باعتبار تأثيرها وفاعليتها ومبلغ سطوتها على المؤمنين بها. متمثلة في القرآن الكريم والذات التي أوحي إليها؛محمدﷺ: حياته؛ سيرته؛ كيفية الوحي وغير ذلك .لكن البحث الاستشراقي مثلما اهتم به نفسيا وتاريخيا؛

---

[1] محمود ماضي،الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده ،ص124-125.

[2] نولدكه تيودور(1836-1931م):يعد نولدكه شيخ المستشرقين الألمان؛كان متقنا تماما لثلاث من اللغات السامية (العربية،السريانية، العبرية) وتعلم من اللغات غيرها كالفارسية والتركية (...)حصل على الدكتوراه الأولى 1856م برسالة عن "تاريخ القرآن"، وتقلد عدة مهام منها أنه كلف بإلقاء دروس في تفسير "اشعيا" و دروس في نحو اللغة العربية؛ جمعت أبحاثه في الشعر القديم للعرب كتاب " أبحاث لمعرفة شعر العرب القدماء". في 1872م . استمر بعد تقاعده بإلقاء محاضرات لفترة كبيرة مثلت استقرار مكانته ودراساته في عالم الاستشراق. ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص595-597.

[3] تيودر نولدكه،تاريخ القرآن، تعديل: فريديرش شفالي، ترجمة: جورج تامر وآخرون، ط1، بيروت، كونراد-أدناور،٢٠٠٤م، ص4 من مقدمة الترجمة العربية.

اهتم بدراسته "فيلولوجيّا" في أصل الكلمة واشتقاقاتها.ومنه جاءت آراءهم في القرآن ومصدريته اللغوية.

يرى المستشرقان نولدكه الألماني ومونتجمري الإنجليزي أن كلمتي "قراء" و"قرآن" هما من الكلمات الدينية التي أدخلتها المسيحية في شبه الجزيرة العربية. في حين أن المستشرقين "شفالي" و"لهاوزن" يجدانها كلمة مستعارة من السريالية أو العبرية:قريانаkeryna أو بالكسرkiryana.

وعن الأصل اللغوي لها يقول المستشرق الفرنسي بلاشيرRegis Blachere[1]: "إن السور المنزلة الأولى التي افتتحت دعوة محمد، تشتمل الأصل اللغوي لاسم "القرآن"، ففي بعض المقاطع القرآنية وردت كلمة قرآن بمعنى التلاوة، ويمكن أن تكون هذه الكلمة مأخوذة عن اللغة السريانية التي يرد فيها لفظ مشابه جدا للمعنى".

ويرجع المستشرق الألماني عمانويل كلير هلز أصل الكلمة إلى العبرية،يقول:" إن أصل كلمة قرآن(...) غير معلوم لنا بصورة أكيدة، وعلى ما يبدو هو مشتق من الفعل "قرأ" أو "يقرأ" استنادا إلى الوحي الذي نزل على محمد وأمره بـ"اقرأ" أو"قل"وما نلاحظه هو المعنى نفسه في العهد القديم، وكذلك الكلمة العربية العبرية karaأي قرأ[2].

وعليه فإن " الوحي القرآني" في الرؤية الاستشراقية مخالف لحقيقة الرسالة؛إذ عبرت عنه بكونه مجرد منتج فكري لبشر خُيّل إليه أنه كلام الله ،وأنه هلوسة وحديث نفس؛ أو ما هو إلا ذلك الإشراق الذي يمكن لأي أحد أن يحصله بالمكابدة والجوع وغيره.

لتخرج النبوة من الوعاء الذي وضعت فيه إلى ذلك الاتجاه الفلسفي أو الإشراقي نتيجة لخلوته.في حين يرى آخرون أنه تجميع لما جاءت به الديانات السماوية من قبلها لتوحي بأن

---

[1] ريجي بلاشير{1900-1973م}: مستشرق فرنسي، سافر إلى المغرب سنة1915م،حصل على الليسانس من جامعة الجزائر سنة1922م،حصل على دكتوراه الدولة من جامعة باريس،وعين أستاذا للغة العربية في المدرسة الوطنية للغات الشرقية في باريس،عمل في وزارة الخارجية الفرنسية كخبير في شؤون العرب والمسلمين.له كتاب (Le probleme de mahomet) يلخص فيه أبحاث المستشرقين الذين كتبوا عن حياة محمدﷺ واشتهر بترجمة القرآن إلى اللغة الفرنسية. ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين،ط3، بيروت ، دار العلم للملايين، يوليو1993م،ص127.

[2] مشتاق بشير الغزالي،القرآن الكريم في دراسات المستشرقين،ط1،دمشق ، دار النفائس 2008م، ص113-114.

الإسلام ليس من عند الله،بل هو من أفكار النبيّ التي تشبعت بالأفكار اليهودية والنصرانية؛حتى في أصل اسم القرآن العظيم.

المطلب الثالث :التعريف بالشخصيتين والكتب المعتمدة

الفرع الأول: محمد عبد الله دراز و كتابه "النبأ العظيم"

أولا: ترجمة موجزة لمحمد عبد الله دراز:

محمد بن عبد الله دراز فقيه متأدب مصري من هيئة كبار العلماء بالأزهر[1]، ولد في بيت علم وخلق وورع فوالده الشيخ الكبير الأستاذ عبد الله دراز من كبار العلماء بالأزهر المشار إلى تضلعهم العلمي وصلاحهم الخلقي، وقد ولد رحمه الله في محلة دياي بمحافظة كفر الشيخ 1894م[2].حفظ القرآن الكريم وله من العمر عشر سنوات ، وتخرج من الجامعة الأزهرية وهو في الثانية والعشرين[3]، وقد ظهرت دلائل نبوغه إذ كان متقدما في امتحاناته السنوية حتى نال شهادة العالمية سنة 1916م، وعُين مدرسا بالأزهر[4]. ثقف نفسه عن طريق المدارس الليلية باللغة الفرنسية حتى أجادها وكأنه يُعَد نفسه لنشر رسالة الإسلام في ديار الغرب[5]، فرشحته مواهبه لعضوية البعثة الأزهرية إلى فرنسا سنة 1936م، بجامعة السوربون[6]. وهناك درس الفلسفة والمنطق والأخلاق وعلم النفس وعلم الاجتماع على أيدي كبار الأساتذة في السوربون وكوليج دي فرنسمن أمثاللويس ماسنيونlouis Massignon[7]،ليفي بروفنسال Levi Provencal، رينيه لوسنRenee Losen، وفالون Fallon وفوكونيه Fauconetوغيرهم.

---

[1] خير الدين الزركلي ، الأعلام، ط7،دار العلم للملايين ، بيروت ، 1926م ج6، ص246.

[2] جعوان مبروكة، منهج الشيخ محمد عبد الله دراز في التفسير من خلال كتابه النبأ العظيم، مذكرةمقدمة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإنسانية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة أدرار، 2016م، ص3.

[3] محمد عبد الله دراز، من خلق القرآن، تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، ط إدارة الشؤون الدينية، قطر، 1979م،مقدمة، ص ب.

[4] محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامه المعاصرين،ط1،دمشق،دار القلم 1995م، ج2 ص242.

[5] محمد عبد الله دراز، من خلق القرآن ، مقدمة، ص ب.

[6] محمد رجب البيومي ،النهضة الإسلامية في سير أعلامه المعاصرين، ص243.

[7] لويس ماسينيون(1883-1962م): مستشرق فرنسي عظيم،اشتهر بأعماله حول التصوف الإسلامي وأهمها"بحث في نشأة المصطلح الفني في التصوف الإسلامي،آلام الحلاج ،شهيد التصوف في الإسلام". أنظر:عبد الرحمان بدوي،موسوعة المستشرقين،ص529.

عاد الشيخ محمد عبد الله دراز إلى ربوع مصر بعد غربة دامت اثني عشرة عاما بقي معتزا بالإيمان وفخورا بالإسلام بل أكثر تمسكا ودفاعا[1]، متحصلا على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون في رسالته الشهيرة دستور الأخلاق في القرآن الكريم[2].

فاشتغل وانتدب لتدريس علم تاريخ الأديان بجامعة القاهرة في مارس1948م ولتدريس علم الأخلاق في دار العلوم ولتدريس التفسير في كلية اللغة العربية،ونال عضوية جماعة كبار العلماء اعتبارا من عام 1949م، كما أسندت إليه أعمال اللجان: كالمجلس الأعلى للإذاعة الوطنية التي كان يخصها بحصص إذاعية في تفسير القرآن ودراسة أخلاقه الربانية[3]. كما قد مثل الشيخ" دراز "مشيخة الأزهر في العديد من المؤتمرات الدولية منها كلمته عن السلام والإسلام في مؤتمر الأديان العالمي في لاهور بباكستان سنة 1958م، وكان حول: "موقف الإسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها"[4].

شيوخه وتلاميذه:

لقد كان محمد عبد الله دراز رجلا شغوفا بالمعرفة والثقافة محبا للعلم وأعلامه ولذا لا نعجب من كثرة شيوخه وزملائه وتلاميذه.فكان من أهم **شيوخه** : والده عبد الله دراز، وإبراهيم الجبالي، ومحمد الخضر الحسين، ومحمد سلامة، وغيرهم كثير [5].وكان من أهم **زملائه** المعاصرين له: محمود شلتوت، ومحمد أبو زهرة وحسين محمد مخلوف، وعبد الوهاب الخلاف، ومالك بن نبي، كما راسل ابن باديس وغيره.

وأما **تلاميذه** من بينهم ومن أهمهم السيد: محمد بدوي ، ويوسف القرضاوي، وعبد العظيم المطعني، وعبد الصبور شاهين، وغيرهم[6].

مؤلفاته:

---

[1] محمد عبد الله دراز، من خلق القرآن ،مقدمة، ص ب-ج.

[2] محيي الدين بن عمار، جهود محمد عبد الله دراز في التفسير الموضوعي ،دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، باتنة،2012م،ص31.

[3] عمر رضا كحالة، المعجم المؤلفين باب الميم ، ط1، مؤسسة الرسالة، 1993م ،ج10،ص212.

[4]. جهود محمد عبد الله دراز في التفسير الموضوعي، ص35 .

[5] جعوان مبروكة، منهج الشيخ محمد عبد الله دراز في التفسير من خلال كتابه النبأ العظيم ، ص6.

[6] محيي الدين بن عمار،جهود محمد عبد الله دراز في التفسير الموضوعي ص36.

قد امتازت كتابات الشيخ دراز بعمق وأصالة وأفكار حيَّة جمعت توازن عجيب بين علوم الدين ومعارف الدنيا كل ذلك بأسلوب رصين في مجموعة قيمة من الكتب والبحوث:

أولا : **الكتب**

1- المدخل إلى القرآن الكريم (الأصل باللغة الفرنسية)

2- دستور الأخلاق في القرآن الكريم (الأصل باللغة الفرنسية)

3- الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)

4- النبأ العظيم (دراسات في القرآن)

5- من خلق القرآن

6- نظرات في الإسلام

ثانيا: البحوث

1-أصل الإسلام

2-الربا في نظر القانون الإسلامي

3-مبادئ القانون الدولي العام في الإسلام

4-رأى الإسلام في القتال

5-العبادات:الصلاة ، الزكاة ،الصوم،الحج

6-بين المثالية والواقعية

7-المسؤولية في الإسلام

8-الأزهر الجامعة القديمة والحديثة

9-كلمات في مبادئ الفلسفة والأخلاق

10-مجموعة أحاديث إذاعية في الدين والأخلاق[1].

وفاته:

في عام 1958م لقي الدكتور دراز ربه شهيدا مهاجرا لتكون كلمة الله هي العليا، إذ فاجأته أزمة قلبية حين حضوره مؤتمر إسلاميا عقد في مدينة لاهور بباكستان[2].

---

[1] محمد بن عبد الله دراز، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، كويت، 1902م، ص7.

[2] محمد بن عبد الله دراز، من خلق القرآن ،ت:عبد الله إبراهيم الأنصاري،(د،ط)،قطر،إدارة الشؤون الدينية،1979م،مقدمة، ص د.

ثانيا:كتاب النبأ العظيم :

على صغر حجمه يظل معلمة بارزة تقف شامخة بين كل الدراسات القرآنية وسر ذلك يكمن في: الوحدة الموضوعية، فالقضية الأساسية التي يدور عليها الكتاب ومحور البحث: هو بيان مصدر القرآن "الوحي الإلهي؛ أم التأليف المحمدي"حول هذه القضية احتشدت الأدلة المنطقية في هذا البحث سواء ما تعلق بشخصية الرسول ﷺ أو ما يتعلق بظاهرة الوحي أو ما تعلق منها بنص القرآن الكريم نفسه.

إن كتاب النبأ العظيم موقوف على بيان وجوه جديدة من وجوه «الإعجاز القرآني البياني واللغوي والعقلي». وما ورد فيه من إعجاز القرآن، وإثبات أنه كلام الله لو لم يكن في موضوع الإعجاز كتاب غيره، لا سابق عليه، ولا لاحق له، لكان كتابه كافيًا في هذا المجال، ولقامت به الحجة لله قوية على منكري سماوية القرآن من قدامى ومحدَثين، فقد أثبت رحمه الله أن هذا القرآن يستحيل أن يكون له مصدر غير الله.[1] وقد قُسم كتابه إلى ما يلي:

المبحث الأول: تعريف القرآن والفارق بينه وبين غيره من الأحاديث القدسية والنبوية، وذكر المعنى اللغوي والاشتقاقي للقرآن والكتاب، وسرّ التسمية بهما واختصاصه بالخلود وعدم التحريف بين الكتب السماوية.

2 -المبحث الثاني: في بيان مصدر القرآن:ثم ذكر في هذا المبحث أربع مراحل:

- المرحلة الأولى: نفي القول بأن القرآن من كلام محمدﷺ، وأن معاني القرآن لا مجال فيها للذكاء والاستنباط ولا سبيل إلى علمها إلا بالتلقي[2].

- المرحلة الثانية: نفي وجود أي معلم بشري للنبيﷺ.

- المرحلة الثالثة: ظاهرة الوحي ودلالتها على مصدر القرآن.

- المرحلة الرابعة: جوهر القرآن و حقيقة مصدره، وذكر ثلاث نواحي للإعجاز القرآني وهي: الإعجاز اللغوي والعلمي والتشريعي، والرد على الشبهات المثارة حولها.

---

[1] سعدية زعبي، محمد عبد الله دراز وجهوده العلمية والدعوية، مذكرة ليسانس، معهد العلوم الإسلامية ، قسم أصول الدين، جامعة الشهيد حمه لخضر،الوادي،2019م،ص37.

[2] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، تقديم عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم، طبعة مزيدة ومحققة، 2005م ص23.

3- ثم ختم المؤلف كتابه بنموذج من دراسة للإعجاز القرآني لسورة البقرة، وقسم دراسته لها إلى مقدمة وأربعة مقاصد وخاتمة على هذا الترتيب:

- المقدمة: في التعريف بالقرآن وبيان ما فيه من الهداية.

- المقصد الأول: في دعوة الناس كافة إلى الإسلام.

- المقصد الثاني: في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم والدخول في هذا الدين الحق في نحو ثلاث وعشرين ومائة آية.

- المقصد الثالث: في عرض شرائع هذا الدين تفصيلا في ست ومائة آية.

- المقصد الرابع: ذكر الوازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع. وذكر حقائق الإيمان والإسلام.

- الخاتمة: في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد، وذلك في الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة.

وبناء عليه فهو يعتبر دراسة فلسفية تبرهن صدق النبوة والقرآن وسلامة القرآن من التحريف وأنه كتاب إلهي ليس من وضع أحد آخر، كما أن فيه مناقشة للكثير من الأفكار الاستشراقية حول القرآن الكريم[1].

الفرع الثاني: مالك بن نبي وكتابه "الظاهرة القرآنية"

أولا:ترجمة موجزة لمالك بن نبي (1905- 1973م):

مولده ونشأته:

هو مالك بن نبي ابن الحاج عمر ابن الخضر ابن مصطفى، يعتبر أحد رواد وأعلام الفكر الإسلامي في القرن العشرين، ولد في الفاتح من جانفي 1905م، الموافق ل 5 ذي القعدة 1923هـ، بمدينة قسنطينة [2].

ويرى مالك بن نبي أن ولادته في تلك الفترة من الزمن مكنته من الشهادة على القرن حيث أتيحت له فرصة الاتصال بالماضي والمستقبل؛يقول:"إن من ولد بالجزائر سنة 1905م،يكون قد أتى في فترة يتصل فيها وعيه بالماضي الممثل في أواخر شهوده وبالمستقبل

---

[1] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، تقديم عبد العظيم إبراهيم المطعني، ص23-24.

[2] عبد الله بن حمد العروسي،مالك بن نبي حياته وفكره،ط1،بيروت،الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2012م،ص51.

المتمثل في أوائل صائغيه"[1]. كان الابن الوحيد لوالدين معسورين، وأخا لثلاث شقيقات، لم تختلف طفولته عن جيله وبيئته[2]، كانت نشأته في مدينتي تبسة و قسنطينة[3]، فقد كان والد مالك خريج المدرسة الرسمية التي كانت تدرس باللغتين العربية والفرنسية، فقد أرسله إلى المدرسة الفرنسية وثابر مالك التردد على المدرسة القديمة لتعلم القرآن، ثم انقطع لصعوبة التوفيق بين المدرستين[4]، وبعد حصوله الشهادة الابتدائية انتقل إلى قسنطينة لمواصلة تعلمه، فحرص أبوه على تلقينه الثقافة الإسلامية لدى "الشيخ عبد الحميد بن باديس" إلى جانب دراسة الثقافة الغربية[5] على يد السيد مارتن[6].

أكمل مالك بن نبي تعليمه الثانوي عند بلوغه العشرين من عمره، فسافر إلى فرنسا للبحث عن العمل، وأغضبه استغلال الشركات الفرنسية للعمال الجزائريين مما أسفر على عودته إلى الوطن[7]، وعمل في الجزائر مساعدا لأعضاء المحكمة التي تنظر في قضايا البدو والقاطنين على أطراف مدينة تبسة وفي عام 1927م أصبح عضوا رسميا في محكمة آفلوابالأغواط،ولكن هذا العمل لم يكن ليرضي طموحه وتطلعاته فعزم على السفر إلى فرنسا. وفي باريس عام 1930م، قرر بن نبي الالتحاق بمعهد اللغات الشرقية، ولم تكن نتيجة الامتحان ايجابية، فالتحق بمعهد الهندسة الكهربائية[8]، وقد اضطر بعد أن سجن في فرنسا

---

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، قسم الطفل، دمشق (د.ط)، دار الفكر 1969م ص15.

[2] فوزية بريون، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، ط1،دمشق، دار الفكر 2010م، ص104.

[3] المرجع نفسه ص58.

[4] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد للقرن قسم الطفولة، (د.ط)، دمشق، دار الفكر،1970م، ص24.

[5] عبد الله بن حمد العروسي، مالك بن نبي حياته وفكره، ص52.

[6]السيد مارتن ، هو معلم مالك بن نبي في مرحلة الثانوي وهو الذي منحه أكبر قدر من المعرفة حول اللغة الفرنسية.

Dilmi Zohier,Malek Bennabi(1905-1973E.C) et les conditions d'une nouvelle renaissance de la société arabe- musulmane,Memoire present à la faculty des études supèrieures En vue de l'obtention du grade de Maitrise(M.A) as sciences des religions,Universitè de Montrèal,Décembre 2013,p21-22.

[7] ينظر: فوزية بريون، مالك بن نبي عصره ونظريته في الحضارة ، ص111.

[8] المرجع السابق، ص112.

لطلب اللجوء السياسي من مصر فسافر إليها واستقر بها وحصل على وظيفة[1]،وقد قام بعدة محاضرات وكتابات في عام(1956-1963م) من خلالها صار بيته فضاء فكريا وثقافيا يقصده الطلبة يستمعون إلى أفكاره ويستفيدون من رؤيته للإصلاح ومنهجية التغيير في العالم الإسلامي[2].

أساتذته وتلاميذه:

أساتذته: من بين الذين كان لهم الأثر في بناء شخصية مالك: مولود بن موهوب الذي درسه في التوحيد والسيرة والشيخ بن عابد في الفقه فقد كانت له هذه الدروس مذكرا قويا يعود بروحه إلى الطريق الصحيح ومن جهة أخرى كان الشيخ عبد المجيد يتخلل دروسه بعض نظراته في انحراف المجتمع وتجاوزات الإدارة؛ أذكى له ذلك في نفسه الحماسة والتأييد [3].
[3].

وكان الفريد هو أثر صديقه محمد بن الساعي فقد قال عنه مالك بن نبي "ترك في نفسي أثرا خاصا حينما تعرفت عليه شخصيا بعد عدة أشهر،كنت أسمع إلى طريقته في توجيه الآيات القرآنية لتتخذ تفسيرا اجتماعيا لحالة المجتمع الإسلامي الحاضرة ، وكان ذلك يؤثر في نفسي كثيرا" [4].

تلاميذه:ونذكر من بينهم :عبد الوهاب حمودة،رشيد بن عيسى،محمد السعيد مولاوي[5].

مؤلفاته: لقد ترك مالك بن نبي عدة مؤلفات وضعها جميعها في سلسلة تحت عنوان (مشكلات الحضارة)ويمكن ذكر بعض آثاره تبعا كما يلي:

1)-الظاهرة القرآنية (الجزائر1946م)

2)-لبيك (الجزائر 1947م)

---

[1] المرجع السابق، ص116.

[2] زكي ميلاد،مالك بن نبي ومشكلات الحضارة دراسة تحليلية نقدية،(د.ط)،بيروت،دار الفكر المعاصر1998م،ص45.

[3] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن،ص66.

[4]المصدر نفسه ،ص67.

[5] الطاهر سعود:"مشروع النهضة في فكر مالك بن نبي وتمثلاته لدى النخبة الجامعية الجزائرية بين زمن الاستقلال والزمن والزمن الراهن :استطلاع ميداني"،إضافات ،العددان 47-2019،48،ص119-121.

3)-شروط النهضة(الجزائر 1948)

4)-وجهة العالم الإسلامي(باريس1945)

5)- الفكرة الإفريقية الأسيوية(القاهرة 1956)

6)- مشكلة الثقافة(القاهرة1959)

7)- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة(القاهرة1960) [1]

8)- فكرة كومنوليث إسلامي(القاهرة1960)

9)- تأملات في المجتمع العربي(القاهرة 1961)

10)- في مهب المعركة (القاهرة 1961)

11)- ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية (القاهرة1962)

12)- مذكرات شاهد للقرن : القسم الأول (الطفل)(الجزائر1966)

13)- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث (القاهرة 1969)

14)-مذكرات شاهد للقرن : القسم الثاني (الطالب) (بيروت 1970)

15)-مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي (القاهرة 1971)

16)-المسلم في عالم الاقتصاد (بيروت1972)

17)-دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين(بيروت 1972)

18)-بين الرشاد والتية(طرابلس،لبنان1977)

19)-من أجل تغيير الجزائر (الجزائر1989)[2]

وهناك بعض من مؤلفاته (مالك بن نبي) قد تم جمعها وترتيبها معا بعد وفاته منها: القضايا الكبرى ،تأملات ،الذي يتناول مشكلة الحضارة، رواية العفن.

وفاته:أصيب بن نبي بسرطان في المخ؛وأجريت له عملية بفرنسا وعند عودته إلى بلاده ما لبث أن عاوده المرض فتوفي في منزله في اليوم الأخير من شهر أكتوبر عام

---

[1] شبي غانية ، مالك بن نبي ورؤيته في الإصلاح الاجتماعي، مذكرة ليسانس، الأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقا يد، 1435هـ، ص 12-16.

[2] شبي غانية ، مالك بن نبي ورؤيته في الإصلاح الاجتماعي، ص 17-20.

٣١.١٠.١٩٧٣مودفنه تلاميذه وأصدقاؤه، ورثاه كثيرون (...)كما أُبِّن رسميا وشعبيا في الجزائر وليبيا[1].

ثانيا: كتاب "الظاهرة القرآنية"

كتاب تأسيسي، صحب عزم مؤلفه على معاناة دراسته دراسة الحريص المتغلغل. وقد تضمن الكتاب بين دفتيه عشرة فصول، خصص المؤلف:

– الفصل الأول(الظاهرة الدينية) للحديث عن طبيعة الظاهرة الدينية.وكان الهدف من هذا الفصل المقارنة بين المذهب الغيبي،الذي يعتبر الدين للإنسان ظاهرة أصلية في طبيعته،ومكون أساس في بناء الحضارة.والمذهب المادي الذي يعتبر الدين مجرد عارض تاريخي للثقافة الإنسانية.

– الفصل الثاني:(الحركة النبوية) تحدث فيه المؤلف عن مبدأ النبوة وخصائص النبوة .وبيَّن من خلال الفصل الطبيعة البشرية والنفسية لظاهرة النبوة عموما .

– الفصل الثالث:(أصول الإسلام)تحدث فيه عن مصادر دين الإسلام وإثبات صحتها.

– الفصل الرابع:(الرسول) في هذا الفصل يقرر مالك أنه لا يمكن الاستغناء في دراسة الظاهرة القرآنية عن معرفة الذات المحمدية،ومن هنا عكف على دراسة سيرة الرسول ﷺ بدءا بطفولته ومرورا بزواجه بخديجة رضي الله عنها وصولا إلى بعثته والوحي إليه.

– الفصل الخامس:(كيفية الوحي)سعى مالك في هذا الفصل إلى تميز السمات الخاصة بمحمدﷺ لكي يتوصل من خلال ذلك إلى أن ظاهرة الوحي خارجة عن شخصه ،وأنها ليست ظاهرة ذاتية،ثم يحدد معنى الوحي بأنه "المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لا يشغل التفكير ،وغير قابل للتفكير".

– الفصل السادس:(اقتناعه الشخصي) يحاول مالك بن نبي أن يبين أن النبيﷺ من ظاهرة الوحي،كان بحاجة إلى التثبت من مقياسين:مقياس ظاهري للتحقق من وقوع الظاهرة،يقتصر على ملاحظته وجود الوحي خارج الإطار الشخصي.ومقياس عقلي لمناقشتها [2]،يقوم على المقارنة الواقعية بين الوحي المنزل ، وما ورد من تفاصيل محددة في كتب اليهود والنصارى.

---

[1] فوزية بريون ، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته ،ص138.

[2] إسلام ويب، حول كتاب الظاهرة القرآنية ، المقالات،منشور03.09.2009، مأخوذ يوم 01،05،2021،على الساعة PM:ISLAMWEB:NET18:00

– الفصل السابع: (مقام الذات المحمدية في ظاهرة الوحي) ينطلق المؤلف في معالجته لظاهرة الوحي من منهج تحليلي، فيحلل خطاب جبريل للرسول ﷺ. ويخلص إلى أن الظاهرة القرآنية منفصلة عن الظاهرة النبوية؛ وبالتالي فصل قاطع بين الذات المحمدية والوحي القرآني.

– الفصل الثامن: (الرسالة) يدفع المؤلف قول من يفسر الظاهرة القرآنية وفق نظرية (اللاشعور).

– الفصل التاسع:(الخصائص الظاهرية للوحي)، هذا الفصل من أهم فصول الكتاب وأطولها، وقد عالجه المؤلف وفق العناوين التالية :(التنجيم ، الوحدة الكمية،مثال على الوحدة التشريعية، مثال على الوحدة التاريخية ،الصورة الأدبية للقرآن ،مضمون الرسالة، العلاقة بين القرآن والكتاب المقدس، ما وراء الطبيعة ، كونيات،أخلاق ،اجتماع ،تاريخ الوحدانية) .

– الفصل العاشر : (موضوعات ومواقف قرآنية)، هذا الفصل خصصه مالك لبحث ما يميز القرآن عن عبقرية الإنسان ، ومن أهم الأفكار التي قررها مالك في هذا الفصل أن الدين في ضوء القرآن يبدوا ظاهرة كونية، تحكم فكر الإنسان وحضارته[1].

[1] المرجع السابق، إسلام ويب، حول كتاب الظاهرة القرآنية ، المقالات، ISLAMWEB:NET.

المبحث الثاني:

رؤية دراز و بن نبي للوحي القرآني

المطلب الأول : محمد عبد الله دراز و الوحي القرآني

المطلب الثاني: مالك بن نبي و الوحي القرآني

رؤية دراز و بن نبي للوحي القرآني

في هذا المبحث الثاني سنتحدث عن رؤية كل من مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز للوحي سواء من ناحية ما جاء به النبيﷺ من وحي إلهي أو من ناحية شخص النبيﷺ في حياته ، وكيفية ردهم للشبه المثارة في مسألة الوحي القرآني وما يتعلق بها .

المطلب الأول : محمد عبد الله دراز و الوحي القرآني

جاء كتاب النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز ليعرف المسلم وغيره بحقيقة القرآن ولرد الشبهات عن حقيقة تنزيله وإيضاح إعجاز بيانه وجمال صياغته وللتفرقة بينه وبين الحديث القدسي كما استشهد على بيان القرآن وقوة حجته بسورة البقرة وترتيبها وما جاء فيها.فما هي حقيقة الوحي عند محمد عبد الله دراز ؟

الفرع الأول: معنى القرآن الكريم والفرق بينه وبين الحديث القدسي:

سمي القرآن قرآناً كونه متلوًّا بالألسن، كما سمي كتابا كونه مدونًا بالأقلام[1]، فكان بذلك محفوظا في الصدور والسطور جميعا،وندرج بداية تعريف الوحي عند الشيخ دراز:

الوحي هو التعليم السرِّي الصادر من الله تعالى الوارد إلى الأنبياء عليهم السلام.يعتري النبي فيها حالة روحية غير عادية،لا يدرك الحاضرون منها إلا أماراتها الظاهرية والوحي بكل أنواعه يصاحبه علم من الموحَى إليه بأن ما ألقي إليه حق معصوم من عند الله[2].

1-سرّ اختصاص القرآن بالخلود وعدم التحريف:

إنجازا لوعد الله تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:9]،لكن الكتب الماضية أصابها التحريف ، والتبديل، وانقطاع السند، فقد وكلت إلى حفظ الناس.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[المائدة:44].

ويكمن الفرق بينهما،كما يرى محمد دراز، أن الكتب المقدسة جيء بها على التوقيت لا

---

[1] محمد عبد الله دراز،النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن)، ط1،القاهرة، دار ابن الجوزي 2013م، ص11-12.

[2] محمد عبد الله دراز، المختار من كنوز السنة النبوية شرح أربعين حديثا في أصول الدين، (د.ط)، دمشق،محمد هاشم الكتبي، ١٩٧٧م، ص ١-٣.

التأبيد، أما القرآن جيء به مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها، فكان جامعًا لما فيها من الحقائق الثابتة، زائدا عليها بما شاء الله زيادته[1].

2-الفرق بين القرآن والأحاديث النبوية والأحاديث القدسية:

-القرآن هو كلام الله تعالى ، المنزل على محمد صلى ﷺالمتعبد بتلاوته[2].

-أما الأحاديث النبوية: فهي ما تلقى الرسول ﷺمضمونها من الوحي وبينها للناس بكلامه ومرده دائما إلى الله تعالى[3].

-والحديث القدسي: منزل بمعناه فقط، فهو لم ينزل للتحدي ولا للتعبد بل لمجرد العمل بما فيه[4] .

الفرع الثاني: القرآن الكريم إلهي المصدر

عن المصدرية الإلهية للقرآن الكريم، نلخص لمضمون ما أورد الشيخ دراز من أسئلة عن الكتاب العزيز وهي كالآتي:

- من أين جاء به محمد بن عبد الله ﷺ؟
- أمن عند نفسه ومن وحي ضميره(ذاتي) ، أم عند معلم (خارجي)؟
- ومن هو ذلك المعلم؟[5]

أولا:تحديد دعوى أخذ القرآن الكريم

إن القرآن عبر عن الوحي بالقراءة والإقراء، أما بالقراءة فقد جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾[يوسف:2]،وأما بالإقراء قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣﴾[العلق: 1-3]. فقد كان القرآن صريحا في أنه لاصنعة فيه لمحمد ﷺ، ولا لأحد من الخلق ، وإنما هو

---

[1] محمد عبد الله دراز،النبأ العظيم،ص13.

[2] المصدر نفسه،ص14.

[3] المصدر نفسه ،ص15.

[4] المصدر نفسه ،ص16.

[5] المصدر نفسه ،ص19.

منزل من عند الله بلفظه ومعناه[1]؛ عشرات الآيات التي تنفي هذه الشبهة بإقرار ما يتهمونه بها أن هذا العمل ليس من صنعه.

يفترض الشيخ دراز أن الرسول ﷺزعم أن هذا الكلام لله تعالى بحجة أن في ذلك ما يعينه على طاعة الناس كلامه .ثم يرى أنه افتراض فاسد لأنه مبني على افتراض باطل أن يكون محمد ﷺمن أولئك الذين لا يأبون في الوصول إلى غاية إصلاحية أي طريق ولو كان كذبا وتمويها، وهذا الأمر ينكره الواقع التاريخي، فمن يتتبع سيرة الرسول ﷺفي كل أحواله يدرك أنه كان أبعد الناس عن الكذب لدرجة أن غير المسلمين عجزوا عن إلصاق هذه الصفة به، فلقبوه بالصادق الأمين على مر الزمان [2]، ابتداء من شهادة قريش التي سجلها أبو سفيان رضي الله عنهوهو في الجاهلية على يدي هرقل عظيم الروم لما سألهم هرقل: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال؟ قال: لا وسألهم : هل يغدر ؟قال: لا [3].

ثانيا:دلائل صدق النبيﷺ وأمانته من الوحي:

من دلائل صدق النبي وأمانته من الوحي مايلي:

1-لقد كانت تنزل به نوازل من شأنها أن تحفزه و ترّغبه للكلام لكن الأمر لم يكن إليه لوكان الأمر إليه لوجد له مقالا فيصلا[4]. ورغم حاجته لذلك الوحي لكنه لا يكون إلا خاضعا لله سبحانه وتعالى فيما يحبه ويكره. ومثاله ما ورد في حادثة الإفك:

" عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺحين قال: (...) قالت عائشة رضي الله عنهافأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺبعد ما أنزل الحجاب (...) [5] وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت

---

[1] المصدر نفسه ،ص20.

[2] المصدر السابق ،21.

[3] المصدر السابق: مسلم ، الصحيح ،كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺإلى هرقل العظيم،حديث رقم 1773،ج3،ص1393.

[4] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم،ص23.

[5] المصدر السابق: البخاري، الجامع الصحيح ،كتاب المغازي ، باب حديث الإفك ، رقم الحديث 3910 ج2،ص 1517 -1518.

وجهي بجلبابي والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه(...) قالت عائشةرضي الله عنها: فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك (...) قالت ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله (...)قالت: فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺعلينا فسلم ثم جلس قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قال قبلها وقد لبث شهرا لا يوحي إليه في شأني بشيء قالت: فتشهد رسول اللهﷺ حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشةرضي الله عنها إنه بلغني كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه"[1].

2-مخاطبة القرآن لطبع الرسول وعتابه الشديد في المسائل المباحة بقوله "وأحيانا كان يجيئه القول فيها على غير مايحبه، فيخطئه في الرأي يراه ، ويأذن له في الشيء لا يميل إليه، فإذا تلبث فيه يسيرا تلقاه القرآن بالتعنيف الشديد والعتاب القاسي حتى في أقل الأشياء خطرا؛ قال تعالى:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ وَأَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال:67-68]

هذه الآية فيها ظاهرة عجيبة فهي لم تنزل إلا بعد إطلاق أسارى بدر وقبول الفداء منهم، وقد بدأت بالتخطئة والاستنكار لهذه الفعلة، ثم ختمت بإقرارها وتطبيب النفوس بها، بل صارت هذه السابقة التي وقع التأنيب عليها هي القاعدة لما جاء بعدها، وعلماء نفس عندما يقرؤون هذا النص يفهمون بأن هنا البتة شخصيتين منفصلتين، وأن هذا صوت سيد يقول لعبده : لقد أسأت، ولكني عفوت عنك وأذنت لك [2].

وهكذا نصل إلى أننا كلما درسنا مواقف الرسول ﷺ من القرآن في هذه المواضع أو غيرها توضح لنا من خلالها خضوعه الخالص لله عز وجل ومعنى البشرية الرحيمة.

---

[1] المصدر السابق،البخاري، صحيح البخاري،ص1519-1521.

[2] المصدر السابق،ص.25

3- توقف الرسول أحيانا في فهم المغزى حتى يأتيه البيان بقوله :"وأحيانا كان يجيئه الأمر بالقول المجمل أو الأمر المشكل الذي لا يستبين هو ولا أصحابه تأويله حتى ينزل الله عليهم بيانه،فلا تجد عاقل توحي إليه نفسه كلاما لا يفهم هو معناه، وتأمره أمرا لا يعقل هو حكمته، دل ذلك على انه ناقل لا قائل ، وأنه مأمور لا آمر"[1] وهذا الأمر نجده في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[البقرة: 284]

4- كيفية تلقي النبي ﷺ أول عهده "وحين ينزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في أول عهده بالوحي يتلقفه متعجلا فيحرك به لسانه وشفتيه ؛طلبا لحفظه وخشية ضياعه من صدره.ولم يكن ذلك معروفا من عادته في تحضير كلامه ، لا قبل دعواه النبوة ولا بعدها ، ولا كان ذلك من عادة العرب ، إنما كانوا يزورون كلامهم في أنفسهم ، فلو كان القرآن منبجسا من معين نفسه لجرى على سنة كلامه وكلامهم في أنفسهم ولكان له من الروية والأناة الصامتة ما يكفل له حاجته من إنضاج الرأي وتحميص الفكرة ، ولكنه كان يرى نفسه أمام تعليم يفاجئه وقتيا ويلم به سريعا ، بحيث لاتجدي به الروية شيئا في اجتلابه لو طلب،ولا في تداركه واستذكاره لو ضاع منه شيء، وكان عليه أن يعيد كل ما يلقى إليه حرفيا ، فكان لا بد له في أول عهده بتلك الحال الجديدة التي لم يألفها من نفسه أن يكون شديد الحرص على المتابعة الحرفية ، حتى ضمن الله له حفظه وبيانه"[2] **قَالَ تَعَالَىٰ:**

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾[القيامة:16]

ومن طرائف سيرة النبي ﷺما إذا تأملته صورت لك إنسانا ليس كمثله أي بشر؛منها: "قالت الربيع بن معوذ بن عفراء جاء النبي ﷺفدخل حين بني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين"[3]، ومصداقه في كتاب الله تعالى :

---

[4] المصدر السابق،ص28.

[2] المصدر السابق،ص32.

[3] ابن حجر العسقلاني ،فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب ضرب الدف في النكاح والوليمة ، رقم الحديث 4852، دار المعرفة - بيروت، 1379 ج9، ص109.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾[الأنعام:05]

هذا الحديث صحيح سندا ومتنا ولا يتعارض مع عصمة رسول الله ﷺ، في سلوكه وهديه، بل فيه البيان العملي مع أهل بيته ، لما هو مباح للأمة في أيام العيد[1].

ثانيا : شبهة تأليف النبيﷺللقرآن الكريم بنفسه والرد عليها

1-مسألة طبيعة المعاني القرآنية مما يدرك بالذكاء وصدق الفراسة

جاءت أقوال الملحدين على أن النبي ﷺكان له من الذكاء الفطري والبصيرة النافذة ما يؤهله لإدراك الحق والباطل ، إلا أن القرآن الكريم لم يكن كله من هذا النوع الذي يدرك بالملكات البشرية مهما بلغ اكتمالها إذ فيه جانب كبير من المعاني النقلية البحتة، التي لا مجال فيها للذكاء والاستنباط ولا سبيل إلى علمها إلا بالدراسة كمثال ما تضمنه القرآن من أنباء ما قد سبق وتفاصيلها على وجهه الصحيح كما وقع، والذي قلما تعزب عن أحد من أهل البدو أو الحضر، فذلك هو العلم النفيس الذي لم تنله يد الأميّين[2].

" لتجد الصحيح المفيد من هذه الأخبار محررا في القرآن فترى مثلا قصة نوح عليه السلام في القرآن أنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، وفي سفر التكوين من التوراة أنه عاش تسعمائة وخمسين سنة "[3].فمن الغريب أن يكون من رجل أمي عاش بين الأميين لا صلة له بالعلم والعلماء، ثم يطلع على قومه بعد أربعين سنة من عمره وفيما بين عشية وضحاها بحديث لا عهد له به في سالف حياته ومما لم يتحدث إلى أحد بحرف منه قبل ذلك، ويبدي من أخبار تلك القرون الأولى ما أخفاه أهل العلم في كتبه فلا بد من أن يكون لهذا الانتقال الطفري سر يُلتمس خارج حدود النفس وبعيدا عن دائرة المعلومات

---

[1] حفصة المغربية: "شبهات وردود"، موقع دار السلام والإسلام، منشور الجمعة يناير 3:06،2014،pm17 ، https//dar-essalam.yoo7.com

[2] محمد عبد الله دراز ،النبأ العظيم،ص36-37.

[3] المصدر نفسه،ص37.

المألوفة[1]،قَالَ تَعَالَى:﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ ﴾[يونس:16]

2 –**بين المقدمات العقلية البشرية والحقائق القرآنية:**

إن العلم البشري التجريبي مبني على القياس والاحتمالية ولا يمكن له النبوءة بالغيب، فها هي ذي قاعدة الإنسان في الحكم مقولته: إنها طبيعة الحوادث إن لم تحد عما كانت عليه، وذلك أن ليس له حكم إلا من خلال الماضي وقياس ما غاب عنه(الغيب) بما شاهده(تجاربه)؛ فلا مجال في هذا العقل أو مقدمة علمية، إلا جزافا كحال العرَّاف والمنجم، أو رجلا ليس إلا مبلِّغا عن من أرسله وهذا الأخير سنة الأنبياء والمرسلين، فما حال الأول(العرّاف أو المنجم) إلا إتباع الظن.

وعليه فلن نجد القرآن إلا فيما يخبرنا الرجل الثاني، فالخبر على لسانه جازم، يقع ما أخبر بوقوعه، مع برائته من علم الغيب؛ فلا هو طلبَه ولا ، ،وهو يخبر به فيقع(ما تعلق بماض كان فيه حاضرا مبلغا عن ما ليس من علم البشر؛كونيَّات، غيبيات)ونبأنا به فوقع(ما تعلق بمستقبل لم يكن حاضرا فيه؛ تاريخ الأمة ونهوضها فيما سبق، من الحقائق التاريخية المصطلح بغيب أخبار المستقبل؛ ولم يشهده هو ﷺ)[2].

فما كان ذا مطمع في الوحي ولا النبوة ؛ ولا هو يضمن لهذا الوحي أن يبقى في نفسه إلا أن شاء الله . قال تعالى:

﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ ﴾[القصص:86].وقال أيضا:

﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ٨٦ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ٨٧ ﴾[الإسراء:86-87][3].فهو ليس مما قد يأتي به البشر وقد أمهلهم الله فعجزوا وما استطاعوا، قال تعالى:

---

[1] المصدر نفسه،ص38.

[2] المصدر السابق، ص40-41.

[3] المصدر السابق:ص42

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾[الإسراء:88][1]. ليصبح العجز عن الإتيان بمثله حكما أبديا مؤكدا. فمن ذا الذي يتحداهم بأعظم ما يصنعون؟ وهل يمكن أن يكون محمدا؟ذلك قاطعين به أبدا، إنه تنزيل من رب العالمين؛ رب موسى وهارون.وهكذا فإنهﷺ يجيئه الوحي عفوا ما يعجز كل معارض وكل تاريخ أن ينقض مما ينبئ به حرفا واحد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١﴾[فصلت:41] [2].

فليس يملك أن يضمن شيئا كهذا بشر، ولو كان له ملك الدنيا جميعا؛ والملك لله سبحانه وتعالى، فالله دائما ما كان يضمن لنبيه الحماية والأمانة على حياته ليبلغ رسالات ربه .قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة :67].

وهو بدورهﷺكان متيقنا واثقا بنصره سبحانه، حتى بلَّغ و أدَّى الأمانة؛ قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا

[1] المصدر السابق،ص43.

[2] المصدر السابق،ص44.

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾[المائدة :3][1].

إن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صادرا عن نفس محمدﷺبل لابد أن هناك من أتاه بهذا القرآن، عن طريق الإملاء والتلقين، وشهدت به الكتب واستيقنها أهلها، فليس هذا نظرية عقلية يوحيها العقل بحساباته القاصرة ولكنها مما لا يقع داخل النفس ولا من وحي خيالها ولا تخمين عقلها ، فالقرآن قد جاء من خارجها جملة وتفصيلا.

ثالثا: تأليف النبيﷺ للقرآن بمساعدة الآخرين:

من المسلَّم به أن محمداً ﷺ؛ لم يكن له معلم من قومه الأمين فذلك مما لا شبهة فيه لأحد وليس يدل عليه بأكثر من اسم (الأمية) الذي يشهد عليهم بأنهم كانوا لا يعلمون من أمر الدين شيئا، وأما أنه لم يكن له معلم من غيرهم وحسب الباحث فيه عن معلم ﷺ القرآن أن يقلب صفحات التاريخ الإسلامي بقديمه وحديثه؛ بل إلى العالمي منه، فلن يجد فيه من يقول :أن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب قد جالس فلانا من العلماء قبل إعلان نبوته واستمع لحديثه عن الدين بعلومه وقصصه[2].

وهذا ما لم يحصل؛ لا قبل دعوى النبوة ولا بعدها، وذلك ما تؤكده الشواهد التاريخية للسيرة النبوية، والتي ساقها دراز فقال: نحن قد نعرف أنه رأى في طفولته راهبا اسمه بحيرا غير أن لقاءه في طفولته له كان مع عمه أبي طالب، ولم يزد ما رواه التاريخ عن هذا اللقاء على أن هذا الراهب قد رأى في هذا الغلام سيما النبوة الأخيرة وحليتها في الكتب الماضية ما أنطقه بتبشير عمه قائلا: إن هذا الغلام سيكون له شأن عظيم.كما أنه لقي في مكة نفسها عالما اسمه ورقة بن نوفل كان هذا إثر مجيء الوحي العلني له وكان هذا اللقاء برفقة زوجته خديجة، حيث حدثنا عن ورقة أنه لما سمع ما قصه عليه النبي من صفة الوحي وجد فيها من خصائص الناموس الذي نزل على موسى ما جعله يعترف بنبوته ويتمنى أن يعيش حتى يكون

[1] المصدر السابق، ص45.

[2] المصدر السابق،ص55.

من أنصاره[1]. ثم يسأل فيقول: هلكان في العلماء يومئذ من يصلح أن تكون له على محمد ﷺ وقرآنه تلك اليد العلمية؟

يقول الملحدون أنفسهم: " إن القرآن هو الأثر التاريخي الوحيد الذي يمثل روح عصره. وهذه كلمة حق في حدود معناها الصحيح فنحن نأخذهم باعترافهم وندعوهم إلى استجلاء الصورة التي حفظها القرآن في مرآته الناصعة مثالا واضحا لعلماء عصره" [2].ولزيادة البيان نذكر نموذجا من وصفه وتفنيده لأغلاطهم ومغالطاتهم التاريخية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾[آل عمران:65]وقوله تعالى من وصفه وتفنيده لخرافاتهم الدينية :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾[المائدة: 17][3].

يقول محمد عبد الله دراز : "هل ترى في هذا كله صورة أساتذة يتلقى عنهم صاحب القرآن علومه أم بالعكس ترى منه معلما يصحح لهم أغلاطهم وينعي عليه سوء حالهم؟

لا ننكر أنه كان في أهل الكتاب قليل من علماء الراسخين، قال تعالى:

﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣﴾[الرعد:43]فلو كان له معلمون لآمنوا بأنفسهم بدل أن يؤمنوا به " [4]. ليكشف كل شبهة توحي بأن يكون له معلم من البشر ، ليؤكد لنا أن النبي ﷺ تلقى الوحي من غير البشر.

رابعا :دراسة مظاهر تلقي النبي ﷺ للوحي:

يذهب الشيخ دراز في الاستدلال على الوحي بما ثبت من الشواهد الحسية لنزول القرآن الكريم على النبي ﷺوذلك مما لا يخفى على ناظر شاهد على تلك الحالة التي كان عليها ﷺأثناء تلقي الوحي؛ فيقول:"وكلنا نعرف تلك الظاهرة العجيبة التي كانت تبدو على

---

[1] المصدر السابق،ص55-56.

[2] المصدر السابق،ص57.

[3] المصدر السابق،ص58.

[4] المصدر السابق،ص59.

وجههﷺ؛ فقد كانوا يرونهﷺ قد احمر وجهه فجأة وأخذته البُرَحاء حتى يتفصد جبينه عرقا وثقُل جسمه ﷺحتى يكاد يرُض فخذُهﷺ فخذَ الجالس إلى جانبه، حتى لو كان راكبا لبركت به راحلته، وكانوا مع ذلك يسمعون عند وجهه أصواتاً مختلطة تشبه دويّ النحل(...)ثم لا يلبث أن تُسرَّى عنه تلك الشدة فإذا هو يتلو قرآناً جديدًا وذكراً مُحدثًا "[1].

ليثبت محمد عبد الله دراز بعد تحليله لهذه المظاهر العجيبة،أنها حال غير اختيارية ليس لها من داخل النفس منشأ من الأسباب الطبيعية العادية، كباعثة النوم أو الأسباب الطبيعية الشاذة ؛كاختلال القوى العصبية، وإنما هي انفعال بسببٍ خارج عن قوى النفس البشرية العادية[2].

ويقول: إنها قوة خارجية لا تتصل بالنفس المحمدية إلا حيناً بعد حين.وهي لا محالة قوة عالمة ؛لأنها توحي إليه علما، وهي قوة أعلى من قوته؛ لأنها تحدث في نفسه وفي بدنه تلك الآثار العظيمة، قال تعالى:﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾[النجم:5]،وهي أيضا قوة خيِّرَة معصومة : لأنها لا توحي إلا الحق ولا تأمر إلا بالرشد[3].

يرى الشيخ دراز: أن هذه القوة ليس لها إلا أن تكون قوة ملك كريم،فذا مبلغ العلم في وصف هذه القوة الغيبية حسبما يهدي إليه البحث العقلي المستقيم. وليس بالمؤمن المقتصد حاجة إلى أكثر من هذا القدر في إرضاء شهوته العلمية (...) فالذي يؤمن بالغيب فسيؤمن له وإن لم يره[4].

ومن ثم يمثل الشيخ دراز لما يسمى بمفارقة المادة للمكان "إن صح تعبيرنا هذا" وهو ما ينقض قانون اتصال الزمان بالمكان،و المصطلح عليه علميا "بالزَّمكان". فقد ساق فيرده على غير المؤمنين إنكارهم إمكان رؤية الإنسان للملائكة عياناً ومكالمتهم جهارًا،أدلة مما ابتكره العلم الحديث كالهاتف النقال مثلا؛ فقد أصبح الرجلان، يكون أحدهما في أقصى المشرق والآخر في أقصى المغرب، فيتخاطبان ويترائيان من حيث لا يتراءى الجالسون في مجلس التخاطب شيئا.ومع ذلك ينكرون أن يسمعوا إلا أزيزاً كدويّ النحل الذي في صفة الوحي.

---

[1] المصدر السابق،ص68.

[2] المصدر السابق، ص69.

[3] المصدر السابق،ص71.

[4] المصدر السابق، ص71.

كما يذكر كدليل ما يسميه العلم الحديث بالتنويم المغناطيسي فقد أصبح الرجل القوي الإرادة يستطيع أن يتسلط بقوة إرادته على من هو أضعف منه حتى يجعله ينام بأمره نوما عميقا ، لا يشعر فيه بوخز الإبر وهناك يكون رهين إشارته، وتنمحي إرادته في إرادته.فإذا كان فعل هذا الإنسان بالإنسان فما ظنك بمن هو أشد منه قوة[1]. هنا فقط الفكرة كمبدأ صحيحة لكن؛ في الحقيقة ليست القضية في كون الممارس للتنويم المغناطيسي قوي الإرادة ومتسلطا فهذا تعبير عن جزء منه أي ما خدمه في وصفه لقوة تسلط الوحي ولكن مهما كان الأمر فإن هذا علم له مكانته اليوم وهو يدخل حتى في متطلبات الطب وخاصة في مجال الطب النفسي وله من مجال البحث ما له؛ وفيه تخصص الكثيرون، وهذه القضية التي طرحها من شأنها لو تستفاد منها الأدلة العلمية بالدراسة فهي في حد ذاته إثبات كما يقول.ونحن نرى في كتاب الله لنا أفضل مثال؛فهذا الذي يُمَارس هو شيء كالسحر في تأثيره ؛خاصة في ما يسمى بالتَّشافي باستخدام تقنية" الإيحاء" والتي لايوافينا المقام للحديث عنها ،ونرجع لنؤكد على استفادة دراز من نتائج العلم الحديث في الدفاع عن ربانية الوحي المنزل.

الفرع الثالث:الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم

درس الشيخ دراز الإعجاز القرآني من ناحية الإعجاز اللغوي، وناحية الإعجاز العلمي، وناحية الإعجاز الإصلاحي التهذيبي، لكنه اعتنى أكثر بالناحية اللغوية وقال: لأنها هي التي وقع من جهتها التحدي بالقرآن جملة وتفصيلا في سورة منه، فبدأ بها، إذ يريد أن يثبت أن القرآن معجزة لغوية من خلال طرح أسئلة هامة للإجابة على الشبهات التي طرحها الغرب فقد ذكر لها ستة أوجه، ثم انتقل إلى الجزء التطبيقي الذي يتناول النص القرآني.

أولا: توهم القدرة في نفسه على محاكاة القرآن الكريم

مثار الشبهة عنده أن من زاول شيئا من صناعة الشعر أو الكتابة ، وآنس من نفسه اقتدرا في البيان فوسوس له شيطان الإعجاب بنفسه والجهل بالقرآن أنه يستطيع الإتيان بمثل أسلوبه[2].

[1] المصدر السابق،ص72-73.

[2] المصدر السابق،ص77.

وفي مثل من قال بهذا يجيب محمد عبد الله دراز فيقول: "مثل هذا دواؤه عندنا نصح نتقدم به إليه أن يطيل النظر في أساليب العرب، وأن يستظهر على فهمها بدراسة طرف من علوم الأدب حتى تتحكم عنده ملكة النقد البياني"[1]، ويستبين له طريق الحكم في مراتب الكلام وطبقاته ثم ينظر في القرآن بعد ذلك، فإن أبى المغرور الإصرار على غروره، وكبر عليه أن يقر بعجزه وقصوره، دعوناه إلى الميدان ليجرب نفسه ويبرز قوته تتبين صدقه من كذبه، فإن في التاريخ لعِبرا تؤثر عن أناس حاولوا مثل هذه المحاولة جاءوا في معارضة القرآن فعجزوا[2]،(...)فكان السخرية للساخرين ومثلا للآخرين[3].

ثانيا: توهم القدرة في غيره من المقتدرين على محاكاة القرآن

ومدخل شبهة الوجه الثاني عنده أنه رأى في الناس من هو أعلى منه كعبا في هذه الصناعة، فقال في نفسه :(لئن لم أكن أنا من فرسان هذا الميدان، ولم يكن لي في معارضة القرآن يدان، لعل هذا الأمر يكون يسيرا على من هو أفصح مني لسانا وأسحر بيانا)

قال في مثل هذا نقول له: ارجع إلى أهل الذكر من أدباء عصرك فاسألهم هل يقدرون أن يأتوا بمثله؟ فإن قالوا لك: (لو نشاء لقلنا مثل هذا) فقل: (هاتوا برهانكم) وإن قالوا : لا طاقة لنا به، فقل : أي شيء أكبر من العجز شهادة على الإعجاز ؟ ثم ارجع إلى التاريخ فاسأله : ما بال القرون الأولى[4] ؟ ينبئك أن أحدا لم يرفع رأسه أمام القرآن في عصر من أعصاره، وأن بضعة النفر الذين انغضوا رؤوسهم إليه باؤوا بالخزي والهوان[5].

ثالثا : مسألة الصرفة

ومعنى الصرفة لغة هو: "أن تصرف إنسانا عن وجه يريده إلى مصرف غير ذلك ". أما اصطلاحا فتعني أن الله تعالى صرف هم العرب عن معارضة القرآن الكريم[6].

---

[1] محمد دراز، النبأ العظيم،ص78.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر السابق،ص79.

[4] المصدر السابق،ص80.

[5] المصدر السابق،ص81.

[6] إبراهيم بن منصور التركي: "القول بالصرفة في إعجاز القرآن الكريم-عرض ودراسة"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثاني،2009م، جامعة القصيم، ص157.

فسكوتهم عن معارضة القرآن الكريم كان عجزا ، أو أن عجزهم جاء من ناحية القرآن ذاته فإن قال لنا: نعم قد علمنا أنه لم يأت أحد بشيء في معارضة القرآن ، ولكن ليس كل ما يفعله الناس يكون خارجا عن حدود قدرتهم ربما أن صارفا إلهيا ثبط همته أو لأن عارضا فجائيا عطل آلاته فعل الفرضين الأولين يكون عدم معارضة القرآن قلة اكتراث بشأنه لا عجزا عن إتيان بمثله[1].

جوابه قال قلنا له:هذه الفروض كلها تنطبق على موضوعنا:

أولا: لأن الأسباب الباعثة على المعارضة كانت موفورة متضافرة وأي شيء أقوى في استشارة حمية خصمك من ذلك التقريع البليغ المتكرر الذي توجهه إلينا معلنا فيه عجزه عن مضاهاة عملك.

ثانيا: إن هذه الأسباب الذي رأيناها آتت بالفعل ثمراتها وأيقظت همم المعارضين إلى أبعد حدودها حتى كان أمر محمد ﷺوالقرآن هو شغلهم الشاغل فلم يدعوا وسيلة من الوسائل لمقاومته إلا استنبطوها وتذرعوا بها أن يخادعونه عن دينه ليلين لهم ولدينهم[2].قال:لاريب من هذه الحملات كلها لم تكن موجهة إلى شخص النبي ﷺوأصحابه، فقد كانوا من قبل تعطفهم عليه أرحامهم، وتحببهم إليه مكارم أخلاقهم لم تكن موجهة إلى القرآن في الصدور بل كانت مصوبة إلى هدف واحد، هو إعلان هذا القرآن ونشره بين العرب [3].

ثالثا:لو كان عجزهم عن مضاهاة القرآن لعارض أصابهم حال بينهم وبين شيء في مقدورهم، لما استبان لهم ذلك العجز إلا بعد أن يبسطوا ألسنتهم إليه و يجربوا قدرتهم عليه[4].

عليه[4].

رابعا: الظن بأن إعجاز القرآن ليس من الناحية اللغوية

إذا تبين أن سكوت العرب عن معارضة القرآن كان عجزا، لكنه زعم أنه لا يرى من الناحية اللغوية للقرآن ما يمكن أن يكون سببا في الإعجاز،لأن القرآن لا يخرج عن معهود

---

[1] محمد عبد الله دراز،النبأ العظيم ،ص83.

[2]المصدر نفسه،ص84.

[3]المصدر نفسه ،ص85.

[4]المصدر نفسه ،ص86.

العرب[1] في لغتهم العربية : فمن حروفهم ركبت كلماته، ومن كلماتهم ألفت جمله وآياته، وعلى مناهجهم في التأليف جاء تأليفه، فأي جديد في تركيب القرآن لم تعرفه العرب، حتى نقول: إنه قد جاءهم بما فوق طاقتهم اللغوية؟

جوابه: إن القرآن الكريم لم يخرج في لغته عن سنن العرب في كلامهم إفرادا وتركيبا لكن هذا لا يمنع أن يأتي القرآن بما يعجز البشر من الناحية البيانية ، ذلك أن صنعة البيان كصنعة البنيان، كما تتفاضل صناعة المهندسين في البناء وذلك في اختيار امتن المواد وأبقاها على الدهر وكأنها للناس من الحر والقرَّ إلى غير ذلك من الميزات، "كما نرى أهل اللغة يؤدون الغرض الواحد على طرائق شتى يتفاوت حظها في الحسن والقبول، ما من كلمة من كلامهم ولا وضع من أوضاعهم بخارج عن مواد اللغة وقواعدها في الجملة، ولكنه الحسن الاختيار في تلك المواد والأوضاع قد يعلو بالكلام حتى يسترعي سمعك ، ويثلج صدرك، ويملك قلبك.وسوء الاختيار في شيء من ذلك قد ينزل به حتى تمجه أذنك ، وتغشى من نفسك ، وينفر منه طبعك "[2].

فالجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد ، وأمسها رحما بالمعنى المراد،وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين.وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان[3].

خامسا: الزعم بأن عجز الناس عن مجاراة أسلوب القرآن ليس خصوصيا له

ذلك أن أسلوب كل قائل صورة نفسه؛فليست الناس في الصناعة البيانية بدرجة واحدة، فما نرى إذاً علينا من حرج أن نعدَّ الإعجاز الذي حدثتمونا عنه أمرًا مشاعا يجري في أساليب الناس كما يجري في القرآن[4].ذلك أن كل قائل أو كاتب إنما يضع في بيانه قطعة من عقله ووجدانه على الصورة التي تهديه إليها فطرته ومواهبه، وأن اختلاف الناس في هذه

---

[1] محمد دراز،النبأ العظيم،ص87.

[2] المصدر نفسه،ص88.

[3] المصدر نفسه،ص90.

[4] المصدر نفسه،ص92.

الوسائل يتبعه اختلاف طرائقهم في التعبير عن أغراضهم حتى إنكم تستطيعون أن تحصوا في اللغة العربية صورا كلامية بعدة الناطقين بها، فكيف تأمرون الناس أن يجيئوكم بمثل القرآن وهم لا يقدرون أن يجيء بعضهم بمثل كلام بعض؟ وكيف تعدون عجزهم عنه آية على قدسيته وأنتم لا تعدون عجز كل امرئ عن الإتيان بأسلوب غيره آية على أن ذلك الأسلوب صنع إلهي محض لا كسب فيه للذي جرى على لسانه؟ أليس هذا القياس يسوغ لنا أن نفترض القرآن كلاما بشرياّ كسائر كلام البشر، غير أنه اختص أسلوبه بصاحبه كما اختص كل امرئ بأسلوب نفسه[1]؟

يجيب محمد دراز عن هذه الشبهة قائلا: أن كلام المتكلم إنما هو صورة تمليها عليه فطرته ومواهبه، لابد أن تترك أثرها في التفاوت في صورة كلامهم ، وإن تشابهت هذه الفطر والمواهب عند فريق من الناس فأملت عليهم صوراً متشابهة من القول، فإنها لا تخرجها في عامة الأمر صورة واحدة .ذلك أن القرآن حين تحدى الناس بالقرآن لم يطالب بأن يجيء بنفس صورته الكلامية وإنما طلب كلاما أيّا كان نمطه ومنهاجه على النحو الذي يحسنه المتكلم أياّ كانت فطرته ومزاجه، بحيث إذا قيس مع القرآن بمقياس الفضيلة البيانية حاذاه أو قاربه في ذلك المقياس[2].

"كذلك المتنافسون في حلبة البيان يعمد كل منهم إلى الغرض من الطريق التي يرضاها وعلى الوجه الذي يستمليه من نفسه، ثم يقع بينهم التماثل أو التفاضل على قدر ما يوفون من حاجة البيان أو ينقصون منها، وإن اختلفت المذاهب التي انتحاها كل منهم"[3]. "هب إذا؛ المدعوّين لمعارضة القرآن فيهم الأكفاء و الأندّاء لنبي القرآن في الفطرة والسليقة العربية، أو من هم أكمل منه فيها، أو هبهم جميعا دونه في تلك المنزلة.فأما الأعلون فسيجيئون بشيء من مثله. وأما الآخرون فلن يكبر عليهم أن يقاربوا ويجيئوا بشيء مثله. وشيء من هذه المراتب الثلاث لو تم لكان كافيًا في رد الحجة وإبطال التحدي"[4].

---

[1] المصدر السابق،ص92-93.

[2] المصدر السابق،ص93.

[3] المصدر السابق، ص94.

[4] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

يقول محمد عبد الله دراز: قد يقول الشاك "أن العرب على اختلاف مراتبهم في البيان لم يرتفعوا إلى طبقة البلاغة المحمدية، وأن هذا القصور الذاتي الذي قعد بهم عن مجاراته في عامة كلامه هو الذي قعد بهم عن معارضة قرآنه، فلا يكون هذا العجز حجة لكم على قدسية الأسلوب القرآني كما لم يكن حجة عندكم على قدسية الأسلوب النبوي"[1].

يجيب الشيخ دراز على هذا: أن محمدًا ﷺكان أفصح العرب وكان له في هذه الفضيلة البيانية المقام الأول،لكننا نسأل ما مبلغ هذا التفاوت الذي كان بينهم وبينه؟أكان مما يتفق مثله في مجاري العادات بين بعض الناس وبعض في حدود القوة البشرية، أم كان أمرًا شاذًّا خارقا للعادة بالكلية؟إن كان شبيها بما يكون في العادة بين البليغ والأبلغ، وبين الحسن والأحسن ، فلا شك أن هذا النحو من العلوّ إن حال بينهم وبين المجيء بمثل كلامه كله لم يكن ليحول بينهم وبين قطعة واحدة منه، ولئن أعجزهم هذا القدر اليسير أن يحتذوه على التمام لم يكن ليعجزهم أن ينزلوا منه بمكان قريب.فكان عجزهم عن ذلك كله سواء.

وإن قيل: التفاوت بينه ﷺوبين سائر البلغاء كان على حد انقطاع صلتهم به لاختصاصه بفطرة شاذة لا تنتسب إلى سائر الفطر في القليل ولا الكثير، لاشك أن القول بهذا هو التسليم بأن ما يجيء به هذا الإنسان لا يكون من عمل الإنسان؛ ذلك أن الطبيعة الإنسانية العامة واحدة ، والطبائع الشخصية تقع فيها الأشباه والأمثال في الشيء بعد الشيء، وكم رأينا من أناس كثيرة تتشابه قلوبهم وعقولهم وألسنتهم فتتوافق خواطرها وعباراتهم حينا، كمارأينا من الأدباء المتأخرين من يكتب بأسلوب ابن المقفع وعبد الحميد، ومن يكتب بأسلوب الهمذاني والخوارزمي وغيره فلو كان أسلوب القرآن من عمل صاحبه الإنسان لكان خليقا أن يجيء بشيء من مثله من كان أشبه بهذا الإنسان مزاجا، وأقرب إليه هديا وسمتّا[2].

قد نقرأ القطعة من الكلام النبوي فنطمع في اقتناصها ومجاراتها، وقد نقرأ الكلمة من الحكمة فيشتبه عليك أمرها : أ من كلام النبوة هي أم من كلام الصحابة "أما الأسلوب القرآني فإنه يحمل طابعا لا يلتبس معه بغيره، ولا يجعل طامعا يطمع أن يحوم حول حماه؛ بل يدع الأعناق، تشرئب إليه ثم يردها ناكصة الأذقان على الصدور"[3].

---

[1] المصدر السابق،الصفحة نفسها.

[2] المصدر السابق،ص95-96.

[3] المصدر السابق،ص99.

سادسا :التسليم بإعجاز القرآن الكريم دون الدراية بالتفسير والتحليل

إن كان السائل من طلاب الحق، وانتهى من بحثه إلى أن القرآن الكريم معجزة لغوية، لكنه يسأل هل من سبيل إلى عوض شيء من ذلك علينا لتطمئن به قلوبنا، ونزداد إيمانًا إلى إيماننا؟ يقول الشيخ دراز: "لمثله انتدب العلماء والأدباء من قبلنا وفي عصرنا، ولم يزيدوا إلا أن ضربوا له الأمثال، واعترفوا بأن ما خفي عليهم منه أكثر مما فطنوا له ، وأن الذي وصفوه مما أدركوه أقل مما ضاقت به عباراتهم ، ولم تقف به إشاراتهم"[1].

الفرع الرابع: خصائص أسلوب القرآن الكريم:

بعد حديث الشيخ دراز عن الإعجاز في القرآن انتقل إلى الجانب التطبيقي الذي يبرز الخصائص الموضوعية للأسلوب القرآني حيث قسمها إلى البنية السطحية للجمال القرآني وإلى الخصائص البيانية للقرآن الكريم.

أولا: البنية السطحية للجمال القرآني

1- خاصية تأليف الصوتي للقرآن الكريم في شكله وجوهره:

عندما نستمع للذي يقرأ ويرتل الحق حق ترتيله ثم بعد ذلك لا نصل في مسامعنا أجراس حروفه ولكن نسمع حركاتها وسكناتها، ومدّاتها وغنّاتها، واتصالاتها وسكتاتها فنجد أنفسنا بإزاء لحن غريب عجيب لا تجده في كلام آخر لو جرد هذا التجريد[2]، وجود هذا التجويد فستراعي من سماعنا الاتساق والائتلاف الذي يكون في الموسيقى والشعر، ذلك أننا عندما نستمع القصيدة من الشعر فإذا فيها تتحد الأوزان، أما الموسيقى فإذا هي تتشابه أهواؤها وتذهب مذهبا متقاربا ، وطبعنا أن يملها إذا أعيدت وكررت عليه بتوقيع واحد، بينما نحن من القرآن في لحن متنوع متجدد، يأخذ كل منها كل وتر من أوتار قلبك بنصيب سواء، فلا يعروك منه على كثرة ترداده ملالة ولا سأم بل لا تفتأ تطلب منه المزيد[3].

2-جرس الألفاظ:

تكلم الشيخ عن الجرس اللفظي المستلذ وذلك أننا فعلا وعلى حد قوله: "في نظم الحروف ورصفها وترتيب أوضاعها فيما بينها تنتابنا لذة جديدة هذا ينقر وذاك يصفر،

---

[1] المصدر السابق،ص100.

[2] المصدر السابق،ص100-101.

[3] المصدر السابق،ص101.

وثالث يهمس ورابع يجهر، وآخر ينزلق عليه النفس، وآخر يحتبس عنده النفس. فنرى الجمال اللغوي ماثلاً أمامنا في مجموعة مختلفة مؤتلفة، قد قدر فيها الأمر تقديرا "[1].

"هذه القشرة السطحية للجمال القرآني هي :كالأصداف مما تحويه من اللآلئ النفيسة فإنه جلّت قدرته قد أجرى سنته في نظام هذا العالم أن يُغَشَّى جلائل أسراره بأستار لا تخلو من متعة وجمال ليكون ذلك من عوامل حفظها"[2]، "فعندما سبقت كلمته أن يصون علينا نفائس العلوم التي أودعها هذا الكتاب الكريم قضت حكمته أن يختار لها صوانا يحببها إلى الناس بعذوبته، ويُغريهم عليها بطلاوته ويكون بمنزلة "الحُداء" يستحث النفوس على السير إليها ويهون عليها وَعْثاء السفر في طلب كمالها"[3].

ثانيا: الخصائص البيانية للقرآن الكريم:لا شك أن تفاضل اللغات من حيث هي بيان أكثر من تفاضلها من حيث هي أجراس وأنغام، ومن هنا كانت أهمية دراسة الألفاظ القرآنية من حيث هي أداة لتصوير المعاني؛ ونقلها إلى المخاطب[4].وقد رتب محمد عبد الله دراز خصائص القرآن البيانية إلى أربع مراتب:

1- بيان القرآن في القطعة منه:

بمعنى ما يؤدي معنى تاما ؛ كالذي يؤدي عادة في بضع آيات أو قد يؤدي في آية طويلة أو سورة قصيرة[5] .

إلا أن الشيخ دراز قبل أن يشرع في تفسير هذا العنصر؛ حدد خطة عبرت عن منهجه لدراستها فعرض لكلام الناس حديثا يفهمه كل من عالج صنعة البيان بنفسه؛ للتعرف على أسباب النقص والعجز فيه وأسباب كمال الإعجاز في القرآن، بمعنى أنه سيبدأ بالمعهود عند

---

[1] المصدر السابق، ص103.

[2] المصدر السابق،الصفحة نفسها.

[3] المصدر السابق، ص103.

[4] أحمد مصطفى فضلية ،محمد عبد الله دراز دراسات وبحوث ، تقديم : علي جمعة،ط1،القاهرة،دار القلم،2007م،ص217.

[5] محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم ص106.

علماء البيان ليقف بهذا على النقص في صنعة البيان عند العلماء، وأسباب كمالها في القرآن عن طريق المقارنة والاستنتاج[1].

أ–القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى :

الذي يعمد إلى إيجاز اللفظ لا بد من أن يحيف على المعنى قليلا أو كثيرا، ذلك لأنه إن عبر عن مراده جملة لا تفصيلاً؛ فكان سبيله سبيل من يقول في الحاجة صدقوا أو كذبوا، وفي باب الوصف : حسن أو قبيح ، ولا يزيد على ذلك.

أما الذي يعمد إلى الوفاء بحق المعنى "فلن يجد له بُدًا من أن يمدَّ في نفسه مدًا لأنه لا يجد في القليل من اللفظ ما يشفي صدره،ويؤدي عن نفسه رسالتها الكاملة"، وعامة الفصحاء يؤتون من هذا الجانب غالبا لأن البليغ حينما يتعقب كلام نفسه يجد فيه زائدا يمحوه ، أو ناقصا يثبته ، ولو أعاد النظر فيه مرات ومرات[2].

أما القرآن الكريم فإن هاتين الغايتين على أتمهما فيه بحيث لو نظرنا في القرآن نجد بيانا قد قُدَّر على حاجة النفس أحسن تقدير، فلا نحس فيه بتخمة الإسراف ولا بمخمصة التفتير، كما عبّر الله تعالى في كتابه[3]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود: 1]

ب – خطاب العامة وخطاب الخاصة:

لو أننا خاطبنا الأذكياء بالذي تخاطب به الأغبياء، لنزلنا بهم إلى مستوى لا يرضونه لأنفسهم؛ولو أننا خاطبنا العامة باللّمحة الدالة والإشارة المعبرة، لجئناهم من ذلك بما لا تطبقه عقولهم،أما في القرآن الكريم فإن جملة واحدة منه تُلقى إلى العلماء والجهلاء وإلى الأذكياء والأغبياء هاتان غايتان لا تلتقيان إلا فيه[4].

ج – إقناع العقل وإمتاع العاطفة:

إن قوة التفكير في الإنسان، تبحث عن الحق لمعرفته ، وعن الخير للعمل به ، أما قوة الوجدان فإنها تسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم . والبيان التام هو الذي يوفي

---

[1] جعوان مبروكة، منهج الشيخ محمد عبد الله دراز في التفسير من خلال كتابه النبأ العظيم، ص23.

[2] محمد عبد الله دراز،النبأ العظيم، 108-110.

[3] المصدر نفسه، ص111.

[4] المصدر نفسه،ص113.

بهاتين الحاجتين، ويمنح النفس حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معًا، وهذا أمر لم يأت على أتمه إلا في القرآن الكريم ، فهو يجيء من الحقيقة البرهانية الصارمة بما يُرضي حتى أولئك المتفلسفين المتعمقين، ومن المتعة الوجدانية بما يرضى هؤلاء الشعراء [1]. فالقرآن جامع بين الوجدان والعقل،قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾[البقرة: 178].

د – البيان والإجمال:

إذا عمد الناس في تحديد أغراضهم لم تتسع للتأويل، وإذا أجملوها ذهبوا إلى الإبهام أو الإلباس، ولا يكاد يجتمع لهم هذان الطرفان في كلام واحد، إلا في القرآن الكريم فنجد أسلوبه في الألفاظ من الشفوف والملاسة والإحكام والخلو من كل غريب عن الغرض ما يتسابق به مغزاها إلى نفسها دون كد خاطر ولا استعادة حديث، كأنك لا تسمع كلاماً ولغات بل ترى صورا وحقائق ماثلة ، ولكن لو أننا أعدنا الكرة مرة أخرى لرأينا منه بإزاء معنى جديد غير الذي سبق إلى فهمنا أول مرة،حتى نرى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوها عدة ، كلها صحيح أو محتمل للصحة[2]، "فهو إذا ما نظرت إليه تجده كتاباً مفتوحا يأخذ كل منه ما يسر له؛ بل ترى محيطا مترامي الأطراف لا تحُدّه عقول الأفراد ولا الأجيال" مثاله ما جاء في الآية:﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢﴾[البقرة:212].

هذه الآية توضح لنا مرونة النص الكريم فهو فقد وسع على فهوم الفرق الإسلامية على اختلاف منازعها في الأصول والفروع ووسع الآراء العلمية على اختلاف وسائلها في القديم والحديث(...) إلى غير ذلك من العجائب البيانية[3].والتي من بينها الإيجاز والإطناب."ففي القرآن استثمار واقتصاد لأقل الألفاظ تنشأ من ظلال واسعة من المعاني

---

[1] المصدر نفسه،ص114-115.

[2] المصدر السابق،ص117.

[3] المصدر السابق، ص118.

فالقرآن الكريم يستثمر دائما برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني؛ يستوي فيها مواضع إجماله ، ومواضع تفصيله ، ولذلك نسميه إيجازاً كله[1]؛ لأننا نراه في كلام المقامين لا يجوز سبيل القصد، ولا يميل إلى الإسراف ميلا ما، ونرى أن مراميه في كلام المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر.والجليُّ بأقل من ألفاظه ولا بما يساويها "[2].

اختلف العلماء في تعريف الإيجاز والإطناب، فأما الإيجاز فإن علماء القرآن يريدون به قلة الألفاظ مع أداء المعنى كاملا، وأما علماء اللغة فيعنون به دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه.وأما الإطناب عند علماء القرآن فهو الإطالة في الكلام[3]. وهنا نجد محمد عبد الله دراز يقر بحقيقة مؤداها أن القرآن، كله إيجاز ، وهو رأي يقارب رأي الرماني في إيجاز القرآن، إذ هو ليس جديد من هذا الوجه وإنما في التفصيل الذي ذكره في مفهوم الإيجاز بالنظر إلى ما استقر في مباحث اللغة العربية وعلاقته بمفاهيم الإطناب، وردّ حجج الداعين بهذا التقسيم لعدم انضباطها بمقاييس واضحة تحكم على أسلوب ما بأنه موجز ، أو مطنب فلا ينضبط منهما قدر يرجع إليه في معرفة الإيجاز والإطناب، إذ ما من كلام وجيز إلا ويمكن تأدية معناه الإجمالي بأقل من لفظه ، أو بما يساويه ، مثاله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة:179]

يمكن تأدية أصل معناه بقولك (انتقم تسلم) أو (اقتص تحيا) أو بالاكتفاء بكلمتين منه (القصاص حياة) .

وأما رأيه في الإطناب، يقال: ما من كلام مطنب إلا ويمكن تأدية معناه الوضعي مفصلا في لفظ أطول منه، وقد انتهى الأمر بالشيخ دراز إلى اعتبار المقدار، والمقياس الحقيقي الذي يؤدي به المعنى بأكمله هو عين الفضيلة، لهذا كله رأينا أن نضع التقسيم وضعا آخر نرد فيه الفضيلة إلى نصابها من الحد الوسيط ، ونرجع فيه الذم إلى الطرفين [4].

---

[1] المصدر السابق، ص128.

[2] المصدر السابق، ص129-132.

[3] حسن ثابت صلاح الحازمي، التداخل المعرفي بين مسائل علوم القرآن وعلوم البلاغة ،كلية الشريعة وأصول الدين، قسم أصول الدين، جامعة نجران، المملكة العربية السعودية، ص58-59.

[4] حميدي بن شارف ،أساليب الإيجاز في بناء الخطاب القرآني –مقاربة أسلوبية–، درجة الماجستير، كلية الآداب اللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2015م، ص55-56.

ربما دفع باحثا كمحمد عبد الله دراز إلى تجاوز هذه المفاهيم ، وإثبات أن سمة الإيجاز فضيلة من فضائل أسلوب القرآن المعجز ، هو أننا لو فتحنا كتابا من كتب البلاغة وجدناه يتحدث عن الإيجاز بالقصر ويضرب مثالا بقوله تعالى:

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾[البقرة:179]، وأن يجاوزه إلى غيره فهو راجع إلى اضطراب في تحديد مفهوم الإيجاز[1].

2-**القرآن في السورة منه " الكثرة والواحدة"**:أسلوب القرآن هو زينة تلك الثروة وجمالها ذلك هو تناسق أوضاعها وائتلاف عناصرها ، وأخذ بعضها بحجز بعض، لكي تنتظم منها وحدة محكمة لا انفصام له، تبرز تلك الوحدة الطبيعية (المعنوية) من إحكام هذه الوحدة الفنية(البيانية)، وذلك عن طريق التقريب بين أجزاء البيان والتأليف؛لكي تتماسك وتتعانق، وهذا الأمر يحتاج إلى قدر من المهارة والحذق[2]؛ فهذا حال المعنى الواحد الذي تتصل أجزاؤه فيما بينها اتصالا طبيعيا.

نجد البلغاء مهما أحسنوا في غرض، كان منهم الخطأ والإساءة في نظم تلك الأغراض؛ هذا حال الأغراض التي تناولت الكلام في مجلس واحد ، أما إذا كانت في ظروف مختلفة وأزمان متطاولة؛ ومن هنا كان مجيء القرآن بهذه المثابة من الإحكام والترابط بين أجزاء السورة، ثم بين أجزائه كله على الرغم من تنوع الموضوعات وتفاوت الظروف؛ هذا النظام أدخل في الإعجاب والإعجاز[3].

فالقرآن الكريم أكثر الكلام افتنانا وتنويعا للموضوعات، من قصص إلى تشريع إلى جدل؛ فجعل من الشأن الواحد تنطوي عليه شؤون؛ إن هذه المعاني المختلفة كانت تنزل آحادا مفرقة حسب الوقائع والدواعي المتجددة إلا أن تأليف النص القرآني جاء خارجا عن طبيعة التأليف الإنساني مترابط ومتواصل[4]. فهذه الطريقة اتبعت في ضم نجوم القرآن بعضها إلى بعض، "فلو نظرنا إلى هذه النجوم عند تنزيلها ، ونظرنا إلى ما مهد لها من أسبابها، فرأينا

---

[1] بن شارف، أساليب الإيجاز في بناء الخطاب القرآني "مقاربة أسلوبية"،ص57.

[2] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم،ص144.

[3] المصدر نفسه ،ص145.

[4] المصدر نفسه ،ص147.

كل نجم رهينا بنزل حاجة ملمة أو حدوث سبب عام أو خاص"، ولو أننا نظرنا إليها في الوقت نفسه فرأيتها وقد أعد لكل نجم منها ساعة نزوله سياح خاص يأوي إليه سابقا أو لاحقا.

إن نهج النظم القرآني على ما به من أسباب متعددة للتفريق والتشتيت، لم ينل شيئا من استقامة النظم القرآني في السور المؤلفة."فالعرب الذي تحداهم القرآن بسورة منه، لو أنهم وجدوا في نظم سورة منها مطمعا لطامع،لكان لهم شأن آخر ولصوبوا سهامهم نحوه يرمونه من هذه الثغرة، أما البلغاء من بعدهم فما زلنا نسمعهم يضربون الأمثال في جودة السبك وإحكام السرد بهذا القرآن حين ينتقل من فن إلى فن"[1]، فلا نجد في نظام معانيها أو مبانيها ما نعرف به أكانت قد نزلت في نجم واحد أو نجوما شتى "وهكذا وصل محمد عبد الله دراز، في إثبات إعجاز النظم القرآني، من جهة تلاحم أجزائه على الرغم من عوامل تفرقها إلى ما لا مزيد عليه لمستزيد، ثم ختم ذلك، بأن قدم لنا نموذجا تطبيقيا ، جاء بمثابة شاهد عيان على ما أصله في هذا الفصل، فاختار سورة هي أطول سور القرآن كله وهي سورة البقرة"[2].

عرض محمد عبد الله دراز نظام عقد المعاني في سورة البقرة التي هي أطول سورة في القرآن وأكثرها إجمالا للمعاني المختلفة، وأكثرها في التنزيل نجوما، وأبعدها في هذا التنجيم تراخيا والتي جمعت بضعا وثمانين ومائتي آية، وحَوَت فيما وصل إلينا من أسباب نزولها نيفا وثمانين نجما، فجعل منها وحدة مترابطة، لا تَنِدُّ منها عن إطار أهدافها العامة التي تناولتها.فقد عرض هذه السورة عرضا واحدا رسم به خط سيرها إلى غايتها وبرز به وحدة نظامها المعنوي في جملتها ،حتى نرى في ضوء هذا البيان وقوع كل حلقة موقعها[3]. من تلك السلسلة العظمى، فقد ذكر أن رغم طولها " تتألف من: مقدمة، وأربعة مقاصد، وخاتمة. على هذا الترتيب:

– "المقدمة" في التعريف بشأن هذا القرآن الكريم، وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حدًّا من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يعرض عنه من لا قلب له، أو من كان في قلبه مرض.

---

[1] المصدر نفسه،ص152.

[2] أحمد مصطفى فضلية، محمد عبد الله دراز دراسات وبحوث،ص230.

[3] محمد عبد الله دراز ،النبأ العظيم،ص160

– المقصد الأول: في دعوة الناس كافة إلى الدخول في الإسلام.

– المقصد الثاني: في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم والدخول في دين الحق.

– المقصد الثالث: في عرض شرائع هذا الدين تفصيلًا.

– المقصد الرابع: ذكر الوازع والنازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع وينهى عن مخالفتها.

– الخاتمة: في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد وبيان مايرجى لهم في آجلهم وعاجلهم"[1].

اختلف العلماء حول قبول ورفض فكرة الوحدة الموضوعية داخل السورة الواحدة؛ ومن الأسباب التي جعلتهم يرفضونها ما يلي:

يقول الأستاذ مصطفى ناصف :"وربما يتبين لنا أن هذا التفسير الموضوعي هو التعبير الحقيقي عن فكرة الإطار العام، ويمكن أن تكون السورة في حد ذاتها إطارا عاما، ولكن بيان وحدة الإطار في السورة أشق؛ لأن السورة ليست مبنية على موضوع واحد، وإنما تتوزع عادة بين طائفة غير قليلة من الموضوعات، ولذلك كانت الوحدة الخاصة بالسور ليست وحدة موضوع، ولكن انتفاء الوحدة عن السورة من حيث الموضوع ليس بالأمر الذي يغلق الباب أمام بحث إطار السورة"[2].

ومن الذين انتقدوا القول بوجود وحدة موضوعية بالسورة أيضا محمد رجب البيومي إذ يقول: "وقد أتاح محمد عبد الله دراز بذلك لكل مبتدئ أن يعمد إلى سورة من السور الكريمة فيختار بعض عناصرها المتقاربة، ويهمل ما لا سبيل إلى انضمامه، ثم يخرج على الناس برأي يهتف بوحدة الموضوع في السورة القرآنية "[3].

ويمكن القول في هذا النقد: أن عمل الشيخ دراز في بيان الوحدة الموضوعية بالسورة قائم على قواعد علمية محكمة ومنضبطة، وليس الأمر بالسهل ولا الهين الذي يصوره محمد رجب البيومي، وليس من السهل على أي مبتدئ أن يحدد حتى بسهولة المقاصد العامة لها

---

[1] المصدر السابق،ص166.

[2] محمد رياض أبو زيد، الوحدة الموضوعية في السورة المتعددة القضايا في التفسير الإذاعي للدكتور محمد عبد الله دراز، ص21.

[3] المرجع السابق، ص22.

فضلا عن تحديد المحور العام، فانظر للسورة القرآنية يحتاج من العمق والخبرة والمهارة والفهم الثاقب مالا يمتلكه المبتدئون، وهذا واضح من عرض المسألة ومدى صعوبتها واختلاف العلماء في تحديدها[1].

ونحن نرى أن محمد عبد الله دراز على صواب فيما أجاد في موضوع الوحدة الموضوعية من خلال ما قد سبق ذكره في ما جاء في وحدة معانيه وما مثّل له بوحدة النظام المعنوي في سورة البقرة .

المطلب الثاني:الوحي القرآني في فكر مالك بن نبي

الفرع الأول: إعجاز القرآن وإشكالية المنهج

يرى مالك بن نبي أن إعجاز القرآن قد قام على البرهان الظاهر على سمو كلام الله فوق كلام البشر،وكان لجوء التفسير إلى الدراسة الأسلوبية لكي يضع أساسا عقليا لإعجاز القرآن،ما قد يجعل هذا الأساس محلا للانهيار؛وذلك لاحتمالية تطبيق نتائج الفرض الذي وضعه المستشرق الانجليزي مرجليوث D.S Margoliouth[2]عن الشعر الجاهلي في 1925م [3]" أسفرت عن تبعية أفكار بعض قادة الثقافة العربية الحديثة للأساتذة الغربيين "[4] ."فأدخل هذا المستشرق في الوقت المناسب ما يشبه الديناميت الذي قد ينسف كل مناهج التفسير القديم".[5]

إن لمالك بن نبي دوافع عدة؛ جعلته يهتم بتجديد المنهج في دراسة الظاهرة القرآنية وهي كالآتي:

---

[1] المرجع السابق، ص 23.

[2] ديفيد صموئيل مرجليوث(1858م – 1940م): مستشرق إنجليزي؛ ولد في لندن1858م ،تخرج من جامعة أكسفورد باللغات الشرقية، كان لآرائه قدرها عند أدباء العرب المعاصرين،انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق، والمجمع اللغوي البريطاني،له من الآثار الكثير؛ أهم ما كتب: "أصول الشعر العربي الجاهلي، أصل الشعر العربي، محمد ونهضة الإسلام ".ينظر: يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص 1036 - 1037.

[3] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية،ترجمة عبد الصبور شاهين،ط17، دمشق، دار الفكر، 2019م ،ص57.

[4]المصدر نفسه، ص56.

[5]المصدر نفسه، ص57.

– إشكالية الانقياد الحداثي للفكر الغربي الاستشراقي، بتأثير دراسات المستشرقين على الفكر الديني لدى الشباب الجامعي، الذي يتجه إلى المصادر الغربية حتى فيما يخص معارفه الإسلامية الشخصية.[1]وهذا الموضوع لا يتصل ببيان القرآن ولكن بوضع المسلم نفسه[2].

– عدم وجود إمكانية الموازنة الموضوعية بين آية قرآنية؛ وفقرة موزونة أو مقفاة من أدب العصر الجاهلي،خاصة المسلمين في البلاد غير العربية[3].

– الاكتفاء العقائدي في هذا الباب بالتقليد والذي لا يتفق مع العقل المتعلق بالموضوعية أي فيما يخص موضوع الوحي[4].

– علاقة هذا التجديد بالعقيدة الإسلامية وذلك بمقتضى قوله: "إن مشكلة التفسير القرآني هي مشكلة العقيدة الدينية (...) ما يفضي إلى تعديل منهج التفسير في ضوء التجربة التاريخية التي مر بها العالم الإسلامي من ناحية المحتوى والمنهج"[5].

– طرح موضوع الإعجاز بالنظر إلى الإعجاز في الأديان عامة[6]، باعتبار عنصر الزمن ودوره في هذه القضية[7].

ويبدو لنا أنه نقص في التكوين اللغوي كنقص في الإعداد وليس في الاستعداد،فقد عاصر بن نبي بدوره الشيخ عبد الحميد بن باديس وهو الذي درسه الثقافة الإسلامية[8]،

---

[1] المصدر السابق، ص55.

[2] المصدر السابق،ص57.

[3] المصدر السابق،الصفحة نفسها .

[4] المصدر السابق،ص58.

[5] المصدر السابق،ص59.

[6] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[7] المصدر السابق،ص60.

[8] عبد الحميد بن باديس(1889م- 1940م) :الإمام المصلح ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر، مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سلك نهج التربية والتعليم قاصدا بذلك مواجهة الاحتلال الغاشم من خلال عدة جهات،أهمها: تأسيس جمعية العلماء المسلمين،وتعليم الناس في المساجد ، وإحياء اللغة العربية. أهم تآليفه: كتاب العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية،وتفسيره:في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،توفي سنة 1940م في مدينة قسنطينة الجزائر .ينظر:باي زكوب عبد العالي وسوهيرين محمد صوليحين ، "الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس:حياته وجهوده التربوية"، مجلة الإسلام في آسيا ، العدد 1، 2015م ،الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية ،ص1.في فصل التعريف بمالك بن نبي نجد ممن درّسه الشيخ بن باديس.

والذي هو صديق الشيخ محمد البشير الإبراهيمي[1]، اللذان اشتهرا بهذا الجانب، بطبيعة كونها فوق كل مواثيق جمعية العلماء المسلمين بعد الإسلام فهما من قاما على تأطيرها وتأسيسها كبذرة وكثمرة. كما وقد كان زميله في الدراسة في فرنسا؛الشيخ محمد دراز والذي تميز في هذا الجانب وتعمق به إلى حد كبير وبشكل جلي على ما يبدو لنا من خلال كتابه النبأ العظيم.

ويصرح بذلك بن نبي من خلال تجربته الشخصية بقوله:"لأبين مباشرة عجزي عن إدراكه بوسائل التذوق العلمي بعد أن اعترفت بعجزي عن إدراكه من طريق التذوق الفطري فاقد الحيلة والوسيلة"[2].

الفرع الثاني:المقياس العام لمعنى الإعجاز بالنسبة للأديان السماوية

يضع مالك بن نبي مقياسا عاما لمعنى الإعجاز سواء في القرآن الكريم أو غيره من الرسالات السماوية السابقة؛ويحدده في ثلاثة عناصر:

1 – الإعجاز كحجة لابد أن يكون في مستوى إدراك الجميع[3].

2 – ومن حيث كونه وسيلة لتبليغ الدين أن يكون فوق طاقة الجميع[4].

3 – من حيث الزمن، أن يكون تأثيره بقدر ما في تبليغ الدين من حاجة إليه.وهذه الصفة تحدد نوع صلته بالدين، والتي تختلف من دين لآخر باختلاف ضرورات التبليغ [5].

وعليه فإن الزمن ضرورة تبليّغيَّة وليس قوة مؤثرة في أصله.

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي(1889م- 1965م): أحد رواد الحركة الإصلاحية في "الجزائر"، وأحد مؤسسي "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، وكان زميلا للشيخ "عبد الحميد بن باديس" في قيادة الحركة الإصلاحية، ونائبه في رئاسة جمعية العلماء، ورفيق نضاله وقف "الإبراهيمي" في "مجلة البصائر"مدافعا عن اللغة العربية ضد حملات التغريب من المستعمر الفرنسي وأعوانه. معظم أعماله حول اللغة العربية ومنها:شعب الإيمان" في الفضائل والأخلاق الإسلامية"،والملحة الرجزية في التاريخ. ينظر: أعضاء ملتقى أهل الحديث ،المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين،(د.ط)،(د.ن)، (د.ت)، ص269-272.

[2] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية،ص63.

[3] المصدر نفسه، ص64.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] المصدر نفسه، ص65.

أولا:نموذج الرسالة الموسوية:

لقد اختار الله لموسى عليه السلام حجة على رسالته معجزتي اليد والعصا، وتتصف هذه الحجة بكونهما:

1 – "ليستا من مستوى العلم الفرعوني الذي كان من اختصاص هيئة الكهنوت وهم معدودون. بل كانت المعجزة في كلتا الصورتين من مستوى السحر الذي يقع في إدراك الجميع عن طريق المعاينة الحسية دون إجهاد فكر"[1]."ولقد تحيرت العرب؛ فيما تسمع من كلام يتلوه عليهم رجل منهم، تجده من جنس كلامها وبلسانهم؛ثم تجده مبايناً لكلامها"[2]. فالذي تسمعه مختلف عن كلامها ولكنه من جنس ما تتكلم به.

2 – أنهما تتصلان بتاريخ الدين الموسوي لا بجوهره، كتوابع لهذا الدين لا من صفاته الملازمة له[3].

3 – دلالتهما على صحة الدين محدودة بزمن معين[4]. لحكمة تتفق مع حقائق نفسية وتاريخية سجلها الواقع وهي: غياب نزعة التبليغ، و مجيء عيسى من بعد موسى، ليَنسخ الدين الجديد ما سبقه.فيُنسخ جانب الإعجاز فيه. وتزول تلك الحجة بزوال ضرورتها التاريخية، إذ تتعلق بالتركيب النفسي الذي عليه الإنسان؛ نظرا لتطور الظروف النفسية والاجتماعية".[5] وهكذا تأتي رسالة الرسول الأمينﷺ لكنها تتسم بأنها الحقلة الأخيرة في سلسلة البعث كما ينوه القرآن وكما يشهد به مرور الزمن[6].

---

[1] المصدر السابق ،الصفحة نفسها.

[2] المصدر السابق ، ص29.

[3] المصدر السابق، ص65.

[4] المصدر السابق،الصفحة نفسها.

[5] المصدر السابق، ص 66.

[6] المصدر السابق، ص67.

ثانيا: الرسالة المحمدية

إن ما يميز الرسالة المحمدية هو تلك الخصوصية التاريخية ونوع إعجازها، ذلك أن الحاجة للتبليغ ستبقى مستمرة سواء من الناحية النفسية (مركب التبليغ) والناحية التاريخية كونه (دين آخر الزمان) [1].

- حاجة الإسلام إلى وسائل تبلغيه ستبقى ملازمة له لا يلغيها شيء في التاريخ.

- وعليه فإن صفة الإعجاز في القرآن صفة ملازمة له عبر العصور. مهما فقد المسلم الوصول إليها بذوقه النظري أو بالتذوق العلمي فالقرآن، الإعجاز فيه من جوهره[2] .

- إنما أصبح المسلم مضطرا أن يتناوله بصورة أخرى فهو يتناول الآية من جهة تركيبها النفسي الموضوعي[3].وهي ضرورة ملحة لمسلم الذي حاول تقعيد عقيدته على أساس إدراك شخصي لقيمة القرآن [4].

ومن هنا نخلص إلى أن حتمية خلود القرآن معجزا،مرتبطٌ بالضرورة الدينية التبلبغيِّة وبوجه أخص عقيدة ختم النبوة،العامل الذي يجعله صالح لكل زمان.

ثالثا:الأسباب الموضوعية لوسم النبوة بالظاهرة

وذلك من خلال ما وجد مالك بن نبي في الآية الكريمة، قَالَ تَعَالَى:﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ [الأحقاف: 9]

- إذ تحمل أولا إشارة خفية إلى أن تكرار الشيء في ظروف معينة يدل على صحته[5] .

- وهي تحمل في مدلولها ثانيا.ربطا واضحا بين الرسل والرسالات خلال العصور.وأن الدعوة المحمدية يجري عليها أمام العقل ما يجري على هذه الرسالات.

وعليه فإننا نستخلص أمرين: أما الأمر الأول:دراسة الرسالة المحمدية في ضوء ما يسبقها من الرسالات[1]. لكن هاهنا لا تغيب عنا فكرة الحديث النبوي الذي يقول:عَنْ عَطَاءِبْنِ يَسَارٍ

---

[1] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[2] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[7] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[4] المصدر السابق، ص68.

[5] المصدر السابق، ص63.

قَالَ: كَانَتِ الْيَهُود يُحَدِّثُونَ أَصْحَابَ النَّبِيِّﷺ فَيَسِيخُونَكَ أَنَّهُمْ يَتَعَجَّبُونَ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: لَاتُصَدِّقُوهُمْ، وَلَاتُكَذِّبُوهُمْ،وَقُولُوا :آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُمُ سْلِمُونَ[2].كمنهج سلوكي في التعامل مع من أشار إليه.والأمر الثاني:دراسة هذه الرسالات في ضوء رسالة محمدﷺ . يقول بن نبي:ومن الواجب في المقام الأول أن نلجأ إلى شهاداتهم الاجتماعية فحياة الأنبياء وتاريخهم هي الشهادة لكي نثبت القيمة التاريخية للوقائع[3]. والذي يرى بأنه محاولة لشرح هذه الظاهرة في ضوء تفسير تاريخي مجرد تبعا لمنهج ديكارت يرجع الذي يرجع كل شيء معيار أرضي [4].

إضافة إلى ما قاله محمود شاكر في تقديمه لكتاب الظاهرة القرآنية في رأيه حول الإعجاز وهو على سبيل الاقتصار كما يلي:

فلقد كان الروع الذي وجده النبي ﷺ من نفسه حين أُلقي إليه وحي الله؛ أول إحساس في تاريخ البشر بمباينة هذا الذي سمع؛للذي كان يسمع من كلام قومه، رغم أنه كان رجلاً من العرب،كإثبات على أنه هو في حد ذاته لم يأت به من عنده ولا من بشر مثله (...) فطالبهم بأن يؤمنوا بما دعاهم إليه ويقروا له بصدق نبوته، بدليل واحد هو الذي يتلوه عليهم من قرآن، فلقد كان في طاقتهم أن يميزوا تمييزا واضحا ما يكون من كلام البشر وما ليس منه فإقرارهم من وجه النظم والبيان أن هذا القرآن كلام الله،وذلك دليل يطالبهم بالإقرار بصحة ما جاء فيه من كل ذلك، فليست صحة ما جاء فيه هي الدليل على مباينته لنظم البشر[5].

فإذا كان هذا القرآن يُنَزَّل عليه منجماً،فكان ذلك القليل من التنزيل يومئذ هو برهانه الفرد على نبوته. وإذن،فقليل ما أوحي إليه من الآيات يومئذ،يحكم له بأنه ليس من كلام البشر. وبذلك يكون دليلا على أن تاليه عليهم،وهو بشر مثلهم،نبي من عند الله مرسل. أياً

---

[1] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[2] أبو بكر عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق،كتاب:أهل الكتاب، باب:مسألة أهل الكتاب،حديث رقم:10161،تحقيق:حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، بيروت، المكتب الإسلامي، 1403هـ، ج6،ص111.

[3] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية ،ص88.

[4] المصدر نفسه،ص85.

[5] المصدر السابق، ص28.

ذلك كان،في تلاوته على، سامعه من العرب، هو الدليل الذي يطالبه بأن يقطع بأن هذا الكلام مفارق لجنس كلام البشر[1].

الفرع الثالث: الحركـة النبويـة

١- اضطراب مفهوم النبوة الإسرائيلية:

يظهر ذلك التغير الوظيفي في الآداب الدينية الإسرائيلية، فالاستعمال الدارج لهذا اللفظ لم يقتصر على الاستعمال الشعبي، فقد كان له أيضا حق التطرق إلى الأدب الديني[2]. استنادا إلى المخطوطات الإسرائيلية في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد[3]. إذ لم تكن هذه الحقبة فترة ارتقاء روحي؛ بل فترة تدهور خلقي وديني،نتيجة للاضطرابات الاجتماعية والسياسية[4]، فقد تكاثر الكهان والعرَّافون وأهل الكشف في بيت المقدس وكانوا موضع احترام أو خوف؛ لما لهم من المقدرة الخارقة،فأُطلق عليهم اسم الأنبياء[5].ليرجع اللفظ وظيفيا إلى مقام الكهنة ومن قام مقامهم.ليُطلق خاصة على الموظف الكهنوتي[6]،كما سيُطلق على كاهن كاهن الإله بعل[7]. ليبدأ جميع الأنبياء أي من يطلق عليهم ذلك في التنبؤ،وبذلك نشأت حركة التنبؤات المزعومة، لنجد في تاريخ هذه الحقبة وجهين لهذا اللفظ؛رجل الدعوة الصادق ومدعي النبوة، ليُمنح أحيانا لنبي مدعي إقبالا على حساب الدعوة اليائسة للنبي الآخر[8].

٢- الانعكاسات الواقعية لاضطراب مفهوم النبوة:

وذلك من خلال تبني الدراسات الحديثة(الغربية) للمفهوم في إطاره السابق.فلقد تجلى هذا الخلط في التعميمات التي تقحم الصفات الخاصة بالنبي في نموذج أو شخص

---

[1] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[2] المصدر السابق، ص90.

[3] المصدر السابق،89.(والتي كانت مصدرا للمعلومات الرئيسية عن الحركة النبوية في دراسة مالك بن نبي للنبوة عامة ونبوة محمد ﷺخاصة)

[4]المصدر السابق،الصفحة نفسها.

[5] المصدر السابق، ص90.

[6] المصدر السابق، الصفحة نفسها.(الموظف الكهنوتي هو الشخص المكلف رسميا بالتبشير في المعهد،ينظر: الصفحة نفسها)

[7] المصدر السابق، ص91.(يلاحظ في كتاب يونان أو يونس، ينظر: الصفحة نفسها)

[8] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

العراف[1].ومن خلال هذا النموذج يريد النقد الحديث أن يكشف حقيقة النبوة؛التي سبق أن اعتبرها ظاهرة ذاتية فيعطل ابتداءً دراسة الظاهرة، إذ يؤكد أن ما يراه العراف في حالات غيبوبته (أي رهن بشخصيته) لتُثمر في اللاّشعور من تأملاته ومن أحواله الدينية السابقة وميوله الداخلية فتتجلى حينئذ أمامه (كأشياء تبدو له خارجة عنه) دون أن يهتم أي النقد الحديث بشهادة النبي الذي يؤكد بكل قوة أنه يرى ويسمع موضوعه خارج مجاله الشخصي[2].

ومن هنا ندرك تفسير الحالة النبوية المحمدية بأحكام لا تنطبق على الوضع الخصوصي ليجعل بذلك النبوة من ذاته وأن ما يقوله هو عبارة عن وهم أو مجرد وحي نفسي.

٣- الذات النبوية ودلالتها على النبوة:

يقول مالك بن نبي :أن النبي ذات يمكن أن تحدثنا عن حالتها الداخلية، تبرهن عليها من خلال؛الاقتناع والتحقق الشخصي، والسياسة الخارجية للرسالة، أي مظاهرها[3]،فإن جاءت نبوة فيجب أن تعد سببا يثير الاضطراب في الذات الإنسانية،ويدفعها نحو رسالة ما دفعا لا سبيل لمقاومته. فالأنبياء،أرادوا بداية أن يتملصوا طواعية من دعوة النبوة؛ فقاوموا ولكن في النهاية استولت عليهم دعوتهم الحتمية التي تطوق إرادتهم وتتسلط عليها؛ما يجعلها قرينة قوية للنظرية الموضوعية عن الحركة النبوية [4].

وهكذا فإن وراء هذه الحالات النفسية قوة عليا لها الكلمة الفصل في تحديد مصائر الأنبياء؛خاصة ما يرتبط بماهية رسالة النبي وتحديد خياراته وفاعلية آدائه وفي تحديد مساره النبوي. وعليه : فإن هناك مؤشرات في حياة النبي ورسالته. تُعتبر دلائل تُثبت حقيقة الرسالة وصدقها وإعجازها إنها امتداد للحالة الموضوعية الإلهية التي لا علاقة لها بالبعد الإنساني وقدراته[5].

---

[1] المصدر السابق،الصفحة نفسها.

[2] المصدر السابق،الصفحة نفسها.

[3] المصدر السابق، ص92.

[4] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، الصفحة نفسها.

[5] اصبيع محمد الساعدي، النبوة والوحي في كتاب الظاهرة القرآنية ،رابطة الأدب الحديث، ج98، 2016 م، ص364

الفرع الرابع:الإطار العام لظاهرة الوحي عند مالك بن نبي

يقول مالك بن نبي بثبوت الظاهرة الدينية عبر التاريخ الإسلامي، فالفكرة الدينية هي التي طبعت قوانين الإنسان وعلومه ومنه وجدت الحضارات وأنارت العالم ،فحتى قوانين الأمم الحديثة لاهوتية في أساسها فقانونه المدني ديني في جوهره [1]، ليثبت بذلك أن الضمير الديني للإنسان ظاهرة أصيلة في طبيعته[2]. ليبرهن على ذلك بما يسميه الظاهرة النبوية والظاهرة القرآنية التي تضع الدين في سجل الأحداث الكونية بجانب القوانين الطبيعية[3].

ومن الثابت حسب وجهة النظر الآلية أن المادة تخضع لمبدأ القصور الذاتي خضوعا تاما،فالمادة الحية على هذا تعد استثناءا من القاعدة ،فإن الحيوان مزود بميزة تعديل وضعه بنفسه وهنا يظهر ضعف المذهب المادي[4]لكن الحتمية الغيبية تسعفنا حين تعجز القوانين الطبيعية عن إعطاء تفسير واضح للظواهر [5].

ليثبت مالك بن نبي في طرحه للظاهرة الدينية فكرة التوحيد التي سينطلق منها لدراسة الظاهرتين النبوية عامة والقرآنية خاصة، إذ ينطلق من التسليم بوجود الله ليبحث في قضية التوحيد من خلال ألسنة الأنبياء أي الوحي كبرهان عليه،كونه هو الفاصل في مجموع الظاهرة الدينية وهو بذلك ليثبت أن ظهور النبوة وجميع المظاهر الأدبية والروحية التي تصحبها دليل الديانات التوحيدية السماوية والذي يمكن فحصه من الناحية الاعتقادية على أساس النقد، فمنذ إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ تتابع أفراد مدفوعون بقوة لا تقاوم يخاطبون الناس باسم حقيقة مطلقة يؤكدون على معرفتها بشكل شخصي وخاص وبوسيلة سرية هي الوحي والذي تعبر عن خصوصيته ومضمونه؛الأمارات المميزة والمثبتة لرسالة النبي وسمة المميزة للنبوة والتي هي الحقيقة الجوهرية في مذهب التوحيد وبرهانه الواقعي[6].

---

[1] مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية، ص69

[2] المصدر السابق،ص71.

[3] المصدر السابق، ص72

[4] المصدر السابق،ص77.

[5] المصدر السابق، ص79.

[6] المصدر السابق، ص86.

ليضع مالك بن نبي في دراسته للظاهرة النبوية والقرآنية مقياسا عامامتمثلا في موضوع مبدأ النبوة والذي يعد ظاهرة موضوعية مستقلة عن الذات الإنسانية التي تعبر عنه باعتبار أن هذه الظاهرة المستمرة تتكرر بالشكل نفسه ، كدليل على وجود النبوة يبني من خلاله مالك بن نبي القانون العام الذي يمكن أن يسيطر على هذه الظاهرة في جملتها[1]،باستخدام شهادة الذات النبوية لإثبات القيمة التاريخية للوقائع محل النقد. بتحليل حياة الأنبياء وتاريخهم بطريقة موضوعية ومؤسسة[2]،كأساس لهذه الدراسة[3]. وبوضعه خصائص عامة ومميزة (...)خلُص من خلالها إلى نتيجة عامة مفادها أن هذه الظاهرة خارج نطاق الذات النبوية؛ ومستقلة عنها بشكل مطلق، وبأن الأنبياء قد وضعوها بالإجماع خارج كيانهم الشخصي.

هذا هو الأساس الذي ينطلق منه مالك بن نبي [4]، كي ما يضع مقياسا ثابتا يتيح له الحكم المباشر على الظاهرة بعد تحليل العناصر الخاصة بهذه الذات[5]؛ ليثبت بذلك أن تلك الأحوال النفسية،والأفكار الشخصية لشخص النبي والتي تعبر عن خصوصية ذلك الوحي،كرد فعل طبيعي للعمل الشعوري إزاء ظاهرة خارجية[6].

الفرع الخامس: النبوة المحمدية

قبل أن يتكلم مالك بن نبي عن النبوة المحمدية أكد على موثوقية المصادر الإسلامية كأصول استدلالية؛وذلك من خلال :

1- القرآن الكريم:

يقول بن نبي: إن التحديد الكامل على عصر النبي ﷺ نفسه يعد ظاهرة جديرة بالملاحظة من وجهة علم الاجتماع وعلم النفس، بخصوص الوسط العربي في العصر

[1] المصدر السابق، ص87.

[2] المصدر السابق، ص88.

[3] المصدر السابق، ص92.

[4] المصدر السابق، ص100.

[5] المصدر السابق، ص108.

[6] المصدر السابق، ص147.

المحمدي، إذ ليست هنا مشكلة تدوين بالنسبة للقرآن كما هو الأمر في الكتاب المقدس. وهي أيضا مؤيد بحقائق التاريخ [1].

2. **السنة النبوية**:والمصدر الثاني المدون عن الإسلام ينحصر في أحاديث الرسول ﷺ ، ومن المؤسف أنه لم يتوافر لهذا المصدر ما توافر للأول من الصحة التاريخية فلقد منع الرسول ﷺفي حياته الصحابة بقوة وصرامة من كتابة أقواله حتى لا يحدث أدنى خلط ممكن بينه وبين القرآن [2]. اتجه الفقهاء ليثبتوا ما استطاعوا من الأحاديث التي يجب أن تصبح عنصرا جوهريا في الفقه القانوني [3]. بوضع طريقة نقدية صالحة للتمييز فيما بين الصحيح وغيره تاريخيا لتشمل تحقيق اتصال الرواية وقيمة من وصل عن طريقهم الحديث[4]. وتبعا لدرجة التثبيت التاريخي صنف المحدثون الحديث إلى : حديث صحيح؛حديث ضعيف؛ حديث مكذوب،وبتلك الاحتياطات يصبح المصدران المستخدمان من قبل الباحثين في الإسلام صحيحين على سواء[5] .ومنه في تأكيده على موثوقية الأصول (مصادرها) للدلالة على صحة الرسالة وصدق النبوة . ودور عملية تدوين الوحي في إثبات صحته.

أولا:الدور الوظيفي لذات شخص محمدﷺ على دوره الرسالي

إن هذا الطرح الذي نلقاه بين أيدينا من مقالات بن نبي يمكن أن يعتبر ويدرج ضمن إطار مبحث التجديد الكلامي؛ إذ تم دراسة هذا العنصر ولكن تم دراسته من خلال قضية إثبات دلائل النبوة بصفة عامة.لكنه هاهنا يعطي للمسألة خصوصية أكثر وتفصيلا مطلوبا نظرا لمستلزمات العقل المعاصر، الذي أصبح أمْيل إلى التعقيد منه إلى البساطة ليضع مضمار التجديد في تناول هذه المسألة على الرغم من أنه انتقد في عدة مواضع وخاصة فيما يخص مسألة الإعجاز أو فيما يخص توظيفه لمصطلحات خارجة عن الإطار المعهود كهذا الحقل المعجمي (الصراع المسلح) بطل ملحمة تاريخية والمستعمل خاصة في علم الاجتماع والتي تفرد لها جزءا منه، تسمى بنظرية الصراع تدرسه في جميع حالات أو غيرها من مصطلحات

---

[1] المصدر السابق ،ص104.

[2] المصدر السابق ، ص106.

[3] المصدر السابق،الصفحة نفسها.

[4] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[5]المصدر السابق، الصفحة نفسها.

النفسية كـ(الاضطراب،التوتر العصبي ، المراهق، جنون الذات ،تضخم الذات ، نوبات الانهيار العميق).

يقول عبد الله دراز في وصفه للظاهرة القرآنية :"حداثة مصطلحاتك"، لكنه كان تحديثا على المستوى الشخصي لمالك بن نبي محاولة إبداع أنهكتها في كثير من الأحيان تلك النظريات التي لا تعدو أن تكون قانونا بشريا.فرغم كون النظريات النفسية تعبر عن هذا الإنسان لكننا نقول أن لكل نفس خصوصيتها بقدر ما هي تشترك مع غيرها في كثير من الأشياء.ولذلك فهي تجعل حكمنا قاصرا نوعا ما عن الصورة المطلوبة،رغم كون الدافع مبررا له فقد وضع في اعتباره ما يقال عن المشروع الإسلامي وبأنه لا يواكب التطورات الاجتماعية الجديدة،ليحمل بذلك الدفاع عن الإسلام عامة وعن العقيدة خاصة صورة أخرى؛مغايرة لما كان عليه علم الكلام القديم. فنجد أن مالكا يدافع أولا عن المذهبية التوحيدية الإسلامية من خلال دراسته للظاهرة الدينية، وليكون غرضه العلمي ثانيا رسم منهج [1]لدراسة الظاهرة القرآنية وظاهرة النبوة؛يثبت من خلاله:صحة دليل النبوة، وصدق دليل الوحي،أن القرآن تنزيل الله وكلامه لا كلام البشر[2].خاصة في كلامه عن محنة العقل الحديث في العالم الإسلامي وكل ذلك بمحاولته للتأصيل المنهجي والتقويم الذاتي الذي يقيس من خلاله تلك الظواهر ومحاولة بناء قواعد ثابتة.

ثانيا:دلائل النبوة المحمدية (ما قبل تلقي الوحي)

يقول مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية التي ندرسها أي الوحي مرتبطة في الواقع بذات محمد ﷺ.ولمعرفة هذا الارتباط يجب أولا أن نضع مقياسا أول مدعما بكل العناصر الخاصة بتجلية الذات. التي هي الموضوع والشاهد والقاضي للقضية يتيح لنا أن نحكم مباشرة بأنفسنا على الظاهرة [3]".

ويستطرد في تحليلاته النفسية معتمدا على القرآن والسيرة قائلا:لقد بلغ محمد ﷺ مرحلة المراهقة في مدينة مولده فقد كان يختلط بالفتيان ماراً بشهواتهم دون أن ينزلق فيه، مع أن

[1] يقول محمود شاكر: "هو نهج مستقل وهو منهج متكامل يفسره تطبيق أصوله" ، المصدر السابق ص17.

[2] المصدر السابق، ص18.

[3] المصدر السابق، ص 108.

أحيان الفساد لم تكن قليلة هناك[1]. وكانت المرة الأولى التي اتصل فيها النبي ﷺ بالعالم الخارجي،حيث بلغ سنهُ إحدى عشرة أو اثنا عشرة سنة بعد إلحاح شديد لعمره الذي رفض اصطحابه (ابتداءً)مع القوافل المكية إلى التجارة[2].

وهو نفسه ﷺقد حدثنا كشهادة شخصية عما كان يراوده من نزعات الشباب حتى غلبته عيناه حين همّ بذلك فنام.ليحدث دائما عارض غير متوقع يحولنا عن قصده؛ فليست الخرافة التي تتكلم و لكنه الشاهد نفسه[3]، شهادة أصحابه و أهله ولكن أبلغ وصف له ﷺحين سموه(الأمين)وهذه الشهادة التاريخية تعطينا تفصيلاً ثمينا للصورة النفسية التي نحاول رسمها.وتستمر حياته البسيطة دون شيء خاص في قطار أيامه حتى سن الخامسة والعشرين[4].

ثالثا: موقف بن نبي من عزلة النبي ﷺ

ما قبل الوحي القرآني

إن ما توحيه لنا نصوص مالك بن نبي أنه يجعل لعزلته ﷺ دورا نسبيا في الظاهرة القرآنية وذلك من خلال آرائه وأقواله. وخاصة في قوله: " لكن هاهي ذي حياته العادية تتغير فجأة، فإن محمداًﷺ سينسحب من مجتمع مكة، وينعزل عن بيئته ويجمع نفسه متأملاً، وهي عزلة ستكون لها نتيجتها في غار حراء"[5]،فأي متاع وأي زاد روحي اصطحبه معه في (تلك العزلة التي انطلق منها) بعد خمسة عشر عاما الشعاع القرآني؟[6]

ثم يدلل على ذالك بسلوكيات الحنيفيَّة من أهل عصره ،كانت الفكرة الغامضة التي تسنى لنبي المستقبل أن يصطحبها في عزلته عن دين جده إبراهيم[7].

---

[1] المصدر السابق، ص113.

[2] المصدر السابق، ص112.

[3] المصدر السابق، ص113.

[4] المصدر السابق، ص114.

[5] المصدر السابق، ص115.

[6] المصدر السابق، ص116.

[7] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل:123]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف:26-27]

كان هؤلاء الحنفاء رجالا تركوا وثنية عصرهم ليعكفوا على عبادة إله واحد[1]،دون أن يصحب حياتهم أي نظام خاص أو شكل من أشكال الطقوس ليؤكد عدم وجود أي اتصال روحي بطائفة من أهل الكتاب، إذ يمتنع وجود وصف لكنيسة في مكة أو أي كنيس أو دير في ضواحيها وذلك من خلال مصادر العصر التاريخية[2]فقد انسحبوا فقط في أماكن منعزلة دون أن يقطعوا صِلاتهم بالمجتمع[3]،فكان سلوكهم نظاما فرديا فطريا بسيطا، لم يكن له أية امتداد نحو الأخلاق المسيحية أو الشريعة الموسوية،فكان تقليدا عربيا محضا[4].

يخلص مالك بن نبي من المقدمة التاريخية للحنفاء والحنيفيّة في العصر المحمدي[5] إلى أنه أنه "من السهل أن نتصور بأي زاد زهيد وبأي أفكار مألوفة وبأي قصد عادي اعتزل ﷺ مجتمعه بعد زواجه كما يفعل حنفاء عصره تماما، ثم إن تلك الأحوال تكون أصدق في حالته بقدر ما كان أميـا؛ لا يقرا ولا يكتب ولم يكن ممكنا حصوله على أية معلومات مكتوبة، وعلى هذا فما المعلومات التي لدينا عن عزلته خمسة عشر عاما؟" [6].

ثم يطرح بن نبي تصوره لعزلة النبي ﷺ من خلال التحليل للشاهد القرآني يقول بعد تأكيده على أنها شهادة القرآن .إذ يصور لنا في رجعة إلى الماضي حال الفكر عند الرسول قبل الوحي قَالَ تَعَالَىٰ:

---

[1] المصدر السابق، الصفحة نفسها

[2] المصدر السابق، ص117.

[3] المصدر السابق الصفحة نفسها.

[4] المصدر السابق الصفحة نفسها.

[5] عادة ما نطلق على العصر النبوي العهد النبوي أو الرسالي، لكن بن نبي يدرجه تحت مسمى العصر المحمدي ربما لأن ذلك كان مألوفا في البيئة التي ألف فيها ومن أجلها كتابه.

[6] المصدر السابق،ص 118. (وهو ما انتقده عليه صديقه محمد عبد الله دراز . في مقدمة هذا الكتاب في أنه قد تبنى معلومةً يرى بأن فيها خطأً و يثبت بأن عزلته لم تتعد الأشهر)

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾[القصص: ٨٦]

يقول بأنه لا معنى له إلا أنه لم يكن لديه أمل في أن يقوم بدور في الدعوة الذي غابت أهميته عن الأستاذ"درمنجام" مع أنه لم يرْتَب مطلقا في صحة القرآن التاريخية [1].الذي يؤكد كونه ﷺ يغرق في تأمل عميق في المشكلة الدينية يقوده نوع من إلهام الدعوة المستقبلية[2].

يناقش بن نبي هنا قضية الإلهام النفسي عند النبي ليصل بها إلى نتيجة مفادها أنه:"يمكننا أن ندرك فيها الأطوار المختلفة التي مرت بها الذات المحمدية خلال تاريخها فنرى في الآية المذكورة الصورة الصحيحة للحالة النفسية عند محمد ﷺ أيام حراء"[3].

إذاً فليس هنالك من سبب لأن ننسب للصادق الأمين النية المبيتة للتأمل في مشكلة ميتافيزيقية تدعو إلى العزلة[4]سوى الإخلاص المطلق لفكرة الحنيفيَّة لديه على عكس ذلك منه فيها يتصل بالمرحلة القرآنية التي نعلم تفاصيلها التي يمكن أن تتجلى من خلال الخطوط الأساسية لعزلتهﷺ من مراجع حياته اللاحقة[5].

ويضرب لذلك دليلا بقولهﷺ: "وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات؛ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها صنع الله وساعة يخلو فيها يخلو فيها لحاجته من مطعم ومشرب وعلى العاقل ألا يكون ظاغنا إلا لثلاث : تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم[6] . فإذا نحن قررنا اطراد الذات المحمدية المحمدية أي (تَتابع نظام حياته فيها)؛فها هو ذا برنامج الحياة المرسوم الذي يجب أن يتبعه ولا سيما في مرحلة عزلته ﷺ[7]، فلا موضع إذن للدهشة حين لا نجد غير قليل من الوثائق عن

---

[1] المصدر السابق، ص119

[2] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[3] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[4] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[5] المصدر السابق، ص120

[6] عبد الرزاق ، مصنف عبد الرزاق،كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي ،باب مجالس الطريق،حديث رقم:19790، ج11،ص21.

[7] مالك بن نبي الظاهرة القرآنية،ص120.

هذه الحقبة من حياته والتي لم يؤرخ لها كما يرى ولم يصل صداها إلا مع خبر ظهور النبي المنتظر[1]. لكن و كما جاء في حديث بدء الوحي من حديث عائشة ﵂ فإنه ﷺ قد ذكرت علامات النبوءة على وجه الترتيب إذا وضعنا في اعتبارنا حرف الترتيب ثمَّ؛(كان أول ما بدئ بهﷺمن الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح،ثم حبب إليه الخلاء،فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه.)وهو ما يثبت تقارب فترة انعزاله مع فترة رسالته.

رابعا:المرحلة الانتقالية للذات المحمدية(العصر القرآني)

يصف بن نبي هنا المرحلية التي لم تكن شيئا مما قد يكتسب زمنيا ولكنه فضل من الله،يقول بن نبي: لم يكن محمدٌ ﷺسوى حنيفي بسيط فلم يكن ﷺ عقلا منهجيا يبحث عن نظريات في الكون واتساقه.ولا هو فكر مضطرب يبحث عن طمأنينته؛ فهي متوافرة لديه دائما فهو يؤمن بالله وحده وهو رب إبراهيم وكما تبرهن هذا وثائق عصره على أن المشكلات الغيبية لم تساور ضميره على عكس النقد الحديث خاصة الأستاذ درمنجهام فمن الخطأ أن يرى أنها مرحلة من البحث والقلق أي نوعا من إرادة التكيف والتخلق الفكري عند النبي[2]، فلا يتدخل عند هذا المتأمل المعتزل أي اهتمام شخصي[3] .

ومع ذلك ففي نحو الأربعين من عمره نجده شمله الهم و الألم و إذ هو لا يشك في وجود الله بل يشك في نفسه هو[4]. إن ما سبق ذكره من الشواهد يؤكد انه شك غير ناتج ناتج عن أمل أهوج أو تضخم في تلك الذات وهذا الشك نتيجة لحالة شخصية عرضية إذ يظن بنفسه الجنون والمس ويرى أن سحرا مشؤوما قد أضر به؛ لكن خديجة تواسيه وتهدئ من روعه بمقالتها الشهيرة في التاريخ "والله ما يخزيك الله والله ما يخزيك الله أبداً،إنك لتصل الرحم،وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف،وتعين على نوائب الحق[5]".

---

[1] المصدر نفسه،ص121.

4 المصدر السابق، ص122.

[3] المصدر السابق، لصفحة نفسها.

[4] المصدر السابق، ص123.

[5] أبو بكر عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق،كتاب المغازي،باب ما جاء في حفر زمزم وقد دخل في الحج، حديث رقم:9719 ج5، ص321.

ما يدل على الحنيفية التي تشيع في الوسط العائلي لمحمدﷺحتى قبيل دعوته[1].

يستأنف من جديد طريقه إلى عزلته، "ليشعر بحضور أشبه بظل يطوف حوله. فيرجع إلى شكه ويسطر عليه الاضطراب. إن المجهول يقترب منه ثم يخاطبه قائلاً:(اقرأ)[2]"،الذي سيكون منذ الآن الزائر الملازم للنبي(اقرأ) .قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾[العلق:1-5] [3].

لتعبر الفكرة المركزية في هذا العرض؛ عن اقتناعه بأن ما يحصل له ليس شيئا مما كان يظنه.ولكنه وبالتحديد بعد الوحي الأول و الذي رويناه،انتظر النبي زمناً طويلا،حتى اعتقد أنه خدع في جوارحه،أو أن القدرة قد تخلت عنه، تلك التي اعتقد حيناً أنها هي التي تقوده[4].ها هو ذا يبحث مستيئساً في نفسه وفيما حوله،عن المنبع الخفي الذي تدفقت منه الآيات الأولى من القرآن،وقد هده ما يعانيه من التوتر العصبي ومن الانهيار العميق حيال حالته الفريدة[5].

إن هذه الألفاظ التي استخدمها رغم تضافرها لتعبر عن قلق ﷺحيال ما يحدث معه لكن هذه المصطلحات: التوتر العصبي، الانهيار العميق،الاضطراب الشديد وغيرها، تعتبر مقدمات لحالة غير سوية نفسيا رغم تأكيده على أنه شخصية حنيفيَّة تجد دائما طمأنينتها في إيمانه بالله رب إبراهيم واحدا أحدا. باعتباره يحاول تفنيد احتمالية أن ما يحصل مع النبي ﷺصرعا أو حالة عصبية؛ والتي يفترض أن يكون أكثر عناية ودقة في وصف هذه الحالة الماثلة. كما قد تكون احتمالية حضور نموذج النبي الإسرائيلي (أرميا) من الجانب النفسي خاصة؛ الذي يبدو من خلال تحليلاته؛ولكنه في محاولة تقريب صورة الذات المحمدية من الوجهة النفسية بشكل بعيد عن الانحياز؛ كادت تماثل في تصويرها النفسي النموذج الذي

---

[1] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص124

[2] المصدر السابق ، ص125.

[3] المصدر السابق ،ص.126

[4] المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

[5] المصدر السابق ،ص127.

طرحه كدليل للظاهرة النبوية نبي بني إسرائيل أرمياء متمثلة في الكلمات المعبرة عن:القهر،الأزمة،الصدمة،المحنة. والتي صادفناها في موضوع النبوة الإسرائيلية، اضطراب مفهومها وآثاره على الدراسات النقدية الغربية الحديثة.

نعود ونواصل في عرض وصفه للحالة النبوية النفسية وتحليل مخرجاتها:

وفجأة يرن صوت جراء في أذنيه فيهب كأنما مسته

الحمى:قَالَ تَعَالَى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾[المدثر:1-2]،ليدرك عليه الصلاة والسلام في هذه المباغتة أهمية الأمر الذي تلقاه ولم يكن ينتظره [1].فقد فاجأهﷺأكثر من ذي قبل لما رأى عجزه هذه المرة أمام هذا التكليف عبر المتوقع .في موقف لم يكن مطلق مطبوعا يأمل القيام بدعوة لكنه يبحث فقط عن فضل لمسه من الله منذ الوحي الأول[2]

يريد بن نبي هنا التأكيد على: نفي احتمالية اللاشعور كمصدر للوحي.

يؤكد بذلك واقعيا وبشكل قطعي استقلال الظاهرة القرآنية عن ذات النبيﷺ.

لتُبرز هذه التفاصيل النفسية؛ العزم النهائي عند محمدﷺ على قبول دعوته، بوصفها تكليفا يأتيه من أعلى[3] ومنه إدراكه لمقام النبوة، إذ يظهر ذلك فيما بعد في موقفه إزاء من عارضه وفي مفاتحة عنه له بقولهﷺ: "والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله وأهلك دونه[4]".

هنا نرى يقينه وجزمه بهذا الذي يحدث معه.فلا يحوله عن طريقة هذا كائنا ما كان إلى الأبد، حتى أن مشهد موت عمه والذي أشفق عليه؛ لكنه يكشف مع ذلك عن إخلاصه المطلق لرسالتهﷺ[5].

---

[1] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[2] المصدر السابق، ص128.

[3] المصدر السابق، ص129

[4] المصدر السابق، الصفحة نفسها. عبد الملك بن هشام أبو محمد، السيرة النبوية لابن هشام،كتاب مباداة رسول الله ﷺقومه وما كان منهم ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (د.ط)، بيروت، دار الجيل، 1411هـ،، ج2، ص101.

[5] المصدر السابق، ص131.

خامسا: المواقف النفسية للنبي ودلالة قوتها على المصدرية العلوية الإلهية

إن التأييد الرباني العلوي الذي يظهر دائما في مواقف النبي ﷺ إن دل فإنه لا يدل إلا على مصداقية الرسالة المحمدية.

أ – نموذج موقف النبيﷺ وهو في غار حراء:

نعرض هنا تطبيق بن نبي العملي لمنهج التحليل النفسي لفهم المفارقة بين الذات البشرية والسند الإلهي في الآتي : أن الحادث ورد صراحة في قوله تعالى:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[التوبة:40]

وباعتبارها وثائق نفسية ثابتة يدرج مالك بن نبي تحليلاته فيها وهي على وجه الاستخلاص كما يأتي :

– أن سكينة النبيﷺ في هذا الموقف مثلت هدوءا يفوق طاقة البشر في مواساة رفيقه[1].

– إخلاصه المطلق المستمر [2].

وهكذا فإن سكينة النبيﷺ في الغار في موقف كانت فرصته للنجاة على قدر كبير من الضآلة. تنبؤنا عن حالة تتعدى فيه طمأنينة الحالة الطبيعة للهدوء والأناة في الإنسان العادي مؤكداً ولاءه الرسالي مرة أخرى؛ ودوره في ثبوت الآيات القرآنية؛ دورا وظيفيا مؤيدا لا دخل لحدود قدرته فيه.[3]

يثبت بن نبي هنا الرسالة من خلال شخص الرسولﷺ"، في محاولة فريدة لا يستهان بها، في مثل هذه المواضيع الشائكة ولكن وفيما يبدو أنه قد اختار له ألفاظا؛ قد يؤاخذ

[1] المصدر السابق، ص133.

[2] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[3] المصدر السابق،ص134

عليها، مع إدراكنا لمدى محاولته تحري الموضوعية والوصف البعيد عن الذاتية الإسلامية(...) رغم تذكيره لنا بأن قدرتهﷺهذه تعبر دائما عن الشعاع العلوي والكلمة الأخيرة[1].

يوحي لنا بن نبي في هذا الاستخدام بشيء من التناقض بين كون محمدﷺ وعصمته وبين هذا الطرح الذي يجعله أقرب إلى صورة البشر العادي،إذ يقول: "وسيكشف الرجل عن ذكاء عجيب، عن حكم على قيم الأشياء،وعلى نفسية الرجال منزه تقريبيا عن الخطأ"[2].

ويقول أيضا:كم من المشاكل يواجهها هذا المجتمع الناشئ؟ إن الحل هو الذي سيُظهر فيه النبيﷺعبقرية ذات رحابة لا مثيل لها مستهديا بالوحي".

نحن نرى أن هذا الحقل الدلالي المستشكل ممثلا بـ: (مستهديا) والذي يقابله في الوصف القرآني"وما ينطق عن الهوى". فهنا ليس مجرد استعانة بل هي الوحي في الوضع التشريعي،حتى اصطلاحه على ما أوتي النبيﷺ من مستلزمات النبوة بأنها عبقرية أو ذكاء عجيب أو قوله: "منزه تقريبا عن الخطأ"أو"عمق آرائه"وهو المعصومﷺالذي لا ينطق عن الهوى. والذي يؤكده قوله هو ذاته في موضع آخر : "أن قدرته تعبر عن الشعاع العلوي والكلمة الأخيرة"[3].

وهذه الألفاظ في الدلالة منافية للعصمة الإلهية والتي تعبر عن محاولة حياده، ليضطرب بذلك مفهوم العصمة عند مالك بن نبي من خلال الاستعمال اللفظي والمنطق الاستدلالي المستخدم،ففيما بعد نجده يُدخل مفهوم"فن القيادة" فيعبر بذلك عن شيء من الابتعاد عن البعد الغيبي لما تلقيه هذه الذات النبوية على جموع المؤمنين ونلاحظ ذلك في المواضع الآتية:

- قوله: "النبي والقائد سيتحدان الآن في ذات واحدة تدعو وتقود جموع المؤمنين"[4].
- وأيضا: إنه لمن الواجب حقا أن يتبع"فن قيادة الجماهير"(...)فإن مشاكل مجتمع ما لا يمكن أن تحل بالأسلوب الرائق الرشيق فحسب[5].

---

[1] ينظر،المصدر السابق، الصفحة نفسها

[2] المصدر السابق، الصفحة نفسها

[3] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[4] المصدر السابق ، ص135.

[5] المصدر السابق، الصفحة نفسها

– كذا قوله: "وفي هذه الملحمة سيتدخل القائد دائما لكي يفصل في حالة دقيقة ولكن النبي هناك دائما يشرف على أعمال القائد،ويمضي قراراته من وجهة نظر دعوته"[1] . وهذه الملحمة تتحرك بعبقرية محمد القادرة وإرادته الخارقة من نصر إلى نصر[2]. ارتبطت فيها عبقرية مصور الصحراء المبدع بنفس المؤمن المضطرمة[3].

– صفة العمق الفكري لا نصف بها نبيا؛فتلك الصفة شيء يحصل للإنسان بعد مسيرة من التجارب والاجتهاد ليصبح ذو ربقة أو مكانة عالية؛ على عكس الذات النبوية التي تتسم بالاصطفاء الرباني وبالتأييد الإلهي ثم يأتي ليقول: "ومحمد بوصفه نبيا يلتزم دائما في سلوكه الشخصي الحقيقة المنزلة"[4].

مما يوحي لنا إقراره هذا بوجود اضطراب في تحديد الوصف الملائم لما هي عليه الذات النبوية العمق الفكري شيء مرتبط بالتحصيل أما السلوك النبوي فإنه وحي إلهي، سلامة الفطرة حتى قبل النبوة وهذا ما تقتضيه خصوصية الرسالة الإلهية، ثم يرجع ليؤكد أن"محمداً ذو فكر موضوعي لا يميل إلى تأييد دعوته بغير معجزته الوحيدة القرآن يثبت لنا إخلاصه المطلق وترينا اقتناعه الشخصي من خلال التفاصيل التاريخية للسيرة النبوية"[5] .

فهو هنا يرد على آراء و مواقف بعض المستشرقين من القرآن والذي يأخذونه بصوره تنتفي فيها حقيقته التي جاء يبلغ بها الناس و الطعن في تلك الذات الرساليّة بقصد أو بغير قصد إثر وجود نمطية طبعت مفهوم النبوة عند بني إسرائيل خاصة .

ب – خطبة الوداع ونهاية الرحلة:

يرى بن نبي أنهﷺيأخذ أهبته إذ يريد أن يملي وصاياه على الأمة. والتي اختار لها مناسبة أداء فريضة الحج[6]إذ ألقى خطبته الأخيرة خطبة الوداع كأنه يريد تسجيلها إلى الأبد

---

[1] المصدر السابق،ص136

[2] المصدر السابق، ص137

[3] المصدر السابق، ص139

[4] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[5] المصدر السابق،140

[6] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

في ذاكرتهم،فكانت كلماته تصل الجموع كأنها تخلص إليها من صوت علوي[1]، وفي تلك اللحظة هبط الوحي وكانت خاتمته كما ورد في قوله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[المائدة:3]وختم دعوته المبلغة[2].

– استخدام كلمة الوصايا تقريبا منه لغير المسلم وإشارة إلى الوصايا العشر،دلالة على تشابه الحركة النبوية وأدواتها.ومنه إلى إثبات شهادة هذه الذات على علوية القرآن في ذاته وأن لا حول له فيه ولا قوة إلا ما كلفه الله به ليسير من الذات البشرية إلى الذات النبوية.

الفرع السادس:موقف مالك بن نبي من مصطلح الوحي

يطرح بن نبي هنا إشكالية التداخل في استخدام مصطلح الوحي وما يتعلق به من معاني بوجهة نفسية، لمعرفة الظاهرة التي تكمن خلف هذا اللفظ .ويطرح بذلك مؤشرات إدراك الوحي الإلهي عند الأنبياء وتنزيه النبيﷺ من أحوال العرفان البشري المألوف كنوع الظواهر الباطنية البشرية المختلفة عن ظاهرة النبوة.

1 – الفرق بين الوحي والمكاشفة :

أ – الوحي:

نوعه كمعرفة:معرفة تلقائية ومطلقة لموضوع لا يشغل التفكير وغير قابل للتفكير[3].

حال المتلقي وصفته: يقين النبي كامل في إدراك أن تلك المعرفة أو ما يلقاه خارج الإطار الذاتي والشخصي وهذا شرط أول مطلق ضروري في اعتقاد النبي في الوحي[1]،فهو طارئ عرضي وليس عقب استعداد نفسي .

---

[1] المصدر السابق، ص141

[2] المصدر السابق، ص140

[3] المصدر السابق، ص144

حصول إدراكه:يكون لدى صاحبه علم تام به في الوقت ذاته حال تلقيه[2]، في شكل تلقائي وآني لحظة أي اليقين بأنه وحي.

ب – المكاشفة:

نوعها:معرفة مباشرة لموضوع قابل للتفكير أو خاض فيه التفكير فعلا[3]

حالة صاحبها وصفته:لا يصحبها يقين كامل (نفسي) .

إدراكها:حصول برهانها أمر بعدي؛تميزها درجة من الشك كونها احتمالا[4].وهي في إثبات صحتها ترجع إلى الدليل الشرعي.

ما يجعله يتأكد من خطأ استعمال لفظة المكاشفة إسقاط على ظاهرة الوحي القرآني لعدم وجود إمكانية التفريق بين الوحي القرآني من الحديث النبوي لو عزونا هذا الفكر إلى المكاشفة، ما يسميه مالك بن نبي نوعين من الإيحاء وهل بالمكاشفة يميز فيما بينهما[5].

2 – استخدامات لفظ الوحي

وفي محاولة لاستخلاص تفسير قرآني لهذه الكلمة نعرض ما جاءبه:

أ – بمعنى الحجة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾[ص:67-70] لتسوق الآيات معنى الوحي لغايات جدلية كما تتيح للنبي أن يستخدمه برهان في محاجته خصوم دعوته[6].

ب – بمعنى كشف المغيب:

---

[1] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[2] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[3] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[4] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[5] المصدر السابق، ص145.

[6] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

إذ يسوق القرآن معناها لحاجة النبي الشخصية متجليا في الآية الآتية **قَالَ تَعَالَىٰ:**

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[آل عمران:44].

لتعطي هذه الآية معنى كشف مغيب محدد تماما يضم تفاصيل مادية لمشهد روحي خالص وواقعا معيَّنا بذاته[1].

يكون في هذا المقام قد وضع للنبي ما شبه لقياس الذي يتبع له أن يفصل ما هو شخصي بالنسبة إليه (الأفكار العادية) ،عما لا يتصل بشخص(ما هو صادر عن الوحي)[2].

3- تنزيه النبيﷺ من أحوال العرفان البشري المألوف

نقد مالك بن نبي لتعريف محمد عبده للوحي

الوحي عند محمد عبده: يقول محمد عبده في رسالته: عرفان يحده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت[3].

يتوجه بن نبي بنقدهم ن خلال ما يتعلق بالحالة النفسية النبوية بعد تلقي الوحي:

- فيه بعض الغموض في ما يتصل بتفسير اليقين عند النبيﷺ.

- أنه إن لم يكن الوحي منتقلا بطريقة محسة؛ مسموعة أو مرئية، سنقع في تعريفه تعريفا ذاتيا محضا فالنبي في التحليل الأخير لا يرى بصفة موضوعية كيف جاءته المعرفة.أنها من عند الله[4] الله[4]

- أن في ذلك تناقضا واضحا يخلع ظاهرة الوحي كل خصائص المكاشفة، والتي لا تنتج يقينا مؤسسا على إدراك[5]. اليقين الذي يبدو أنه مقصود في الآيات التي ورد فيها ذكر الوحي والتي تتصل خاصة بإعداد محمدﷺ الشخصي لفهم طبيعة الظاهرة القرآنية[6].إذا يشير بكلمة

---

[1] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[2] المصدر السابق، ص146.

[3] محمد عبده، رسالة التوحيد، ص57.

[4] مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية،ص146

[5] المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

[6] المصدر نفسه ،ص147.

إعداد إلى أمية النبيﷺ وكونها خاصية له ﷺ ودليلا عليه[1]، ويقين النبي ﷺفي مصدر ما أوحي إليه:لا يجيء مع الوحي نفسه،ويؤلف جزء من طبيعته؛فهو عمله الشعوري كرد فعل طبيعي لشعوره إزاء ظاهرة خارجية[2].تجعل الوحي خارج أحوال الفرد النفسية لتعطيه تلك الخصوصية[3].وهذا الكلام ينطبق على الوصف النبوي لحالة تلقيه الوحي كمرة أولى إذ لم يكن الموضوع مما قد يشغله ويهتم به؛بدليل توجس خاطره و حيرتهﷺفي من جاءه ورد عند عليه ليدرك بعد ذلك وبصفة مطلقة أنه جبريل والذي ظن بأنه تلبُّس أوشيء آخر.

4-مؤشرات إدراك الوحي القرآني عند محمد ﷺ

يدرس مالك بن نبي اقتناع النبي ﷺفي نطاق قيمته العقلية لتعبر هذه الحقيقة عن قيمة استثنائية خاصة بوصفه برهانا مباشرا على الظاهرة القرآنية وعلى صفتها العلوية، لترتبط هذه القيمة العقلية -أي الحجة-بطريقة اقتناعه في شكلها النهائي[4].إذلم تكن عن تلقائية[5].أي مسألة اقتناعه وليس فيما يخص الوحي، إذ لم يكن اقتناعا آنيا بأنه وحي ولكنه إدراك آني بكونه شيئا خارجا عن ماهيته من خلال حواسه وعقله،مايسميه مالك بن نبي مقياس ظاهري ومقياس عقلي[6].فأثناء تثبته ﷺمن هذه الظاهرة عرضها على هذين المقياسين. المقياسين.

أولا: المقياس الظاهري

ممثلا بحديثه عما جرى في الصورة الأولية للوحي: "فالنبي ﷺيسمع للمرة الأولى في غار حراء صوت جبريل ويبصر وبصورة غير مألوفة نورا محيطا فهو يخيَّل إليه أنه قد ألم به لكنه يذهب إلى زوجه فيما يجري معه وقد كانت تدرك المرة الثانية(...) لتقول له بعد أن حصل ما حصل:"أثبت وأبشر فوالله إنه ملك ما هو بشيطان[7].

---

[1] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[2] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[3] المصدر السابق، ص148

[4] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[5] المصدر السابق، ص149

[6] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[7] المصدر السابق، ص150.

هذه الظاهرة التي سيصحبها فيما بعد دلائل حسية يشعر بها من شاهدوه [1].فهل يمكن أن تكون اختلاطا وهلوسة؟وهل يمكن لذلك أن ينتج أصواتا؟ ويملي عليه ذلك الصوت أمرا واضحا صريحا،قَالَ تَعَالَى:﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾[المدثر:2][2]،إذ سيدرك للمرة الأول بأهمية الظاهرة في حياته الخاصة متمثلا في قوله ﷺ:"فمن ذا أدعوا ومن ذا يستجيب"[3].

ويقول بن نبي: "نستخلص مباشرة نتائجنا عن الظاهرة القرآنية من تحليلنا للقرآن"[4]. ويستدل بن نبي بما في السيرة النبوية من شواهد حسية للوحي (مظاهره)،و عليه فإن النبي ﷺ كانت إرادته مستقلة عن هذه الظاهرة .والتي جعلت نقاد السيرة يفسرونها كحالة تشنج من خلال الأعراض التي كانت تلم بالنبي ﷺ في تلقيه للوحي.

ندرج هنا ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾[المزمل: ٥]، لتوضيح تلك الأعراض والمظاهر وتأكيد حقيقتها.

قيل: "قولا ثقيلا"؛هو القرآن.وقيل: "ثقيلا" ما يحل بجسمه ﷺ حال تلقيه الوحي،حتى كانت ناقته تبرك به(...)وحتى كادت رأسه الكريمة أن ترض فخذ زيد[5].وهذا الأخير يسميه بن نبي مقياس ظاهري (مظاهر الوحي) ليكون دليلا على صدقه في كونه شيئا خارجا عن ذاته. ويقول بن نبي:هذا القول الثقيل إنه وزن القرآن كله عندما يكتمل في مدى ثلاثة وعشرين سنة، أي عندما نزل جبريل للمرة الأخيرة،ليختم الوحي على لسان النبي ﷺ. وذلك الثقل ثقل الفكرة الدينية والتجربة الخلقية، ثقل الإيمان المضطرم لدى ربع الإنسانية الآن، وهو أيضاً في ميزان التاريخ ثقل تلك الحضارة الإسلامية التي كانت خاتمة لدورة الحضارات. بل لتيار الوحي ذاته.

إن النبي ﷺ كان يجهل تماماً قصة يوسف مثلا قبل نزول القرآن ،بل إن (جهله) هذا عنصر جوهري لاقتناعه الشخصي،فأمامنا بلا مراء طليعة لتيار الوحي،الوحي الذي نزل

---

[1] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[2] المصدر السابق، ص152.

[3] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[4] المصدر السابق، ص149.

[5] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير،تحقيق: صدقي محمد،(د.ط)،بيروت،دار الفكر،142هـ،ج10،ص314.

بموضوع خاص محدد تماماً: هو قصة يوسف،وهي مازالت حتى تلك اللحظة غريبة عن النبيﷺ. ولدينا على ذلك واقعان لابد من الفصل فيهما فيما يتعلق (بجهل) النبي في هذه النقطة:

أ- فمن الوجهة التاريخية، لم تكن"الفكرة المحمدية" قد ضمت بعد تفاصيل القصة قبل أن ينزل بها الوحي.

ب- ومن الوجهة النفسية ليس لشعور النبي دور في عملية الوحي،وهو بداهة لا يحتوي تيار الوحي الذي لم يأت بعد،أما (لا شعوره) فلم يكن له أن يلد تلقائياً فكرة مركبة أثبتها التاريخ بصورة وضعية إيجابية(...)،الأمر الذي لا يتفق مطلقاً مع استعداد الذات المحمدية،وخاصة في تلقيها الوحي[1].

أما الدراسات النقدية الغربية الحديثة(النقدية)فقد فسرت مظاهر الوحي بأنها حالة مرضية. فعدوا الدلائل النفسية أعراضا للتشنج لتحكم على الظاهرة القرآنية من خلال هذه الأعراض الخارجية مقياسا لذلك"[2]. لكن الواقع النفسي المصاحب لا يمكن أن يفسره تعليل مرضي فحتى أعراض التشنج لا تمت بصلة لحالة النبي ﷺ، فهي ليست بحالة مرض كالتشنج إذ يتمتع بحرية عقلية ملحوظة من الوجهة النفسية.ليستخدم ذاكرته استخداما كاملا خلال الأزمة نفسها أي الوحي ثم إن الأعراض الجسمية التي رويت عن النبي ﷺ لا تظهر إلا حين تعتريه الظاهرة القرآنية ليعبر هذا التلازم الملحوظ بين النفسية النبوية والحالة العضوية عن الطابع الخارجي المميِّز للوحي[3].

ثانيا: المقياس العقلي:

إن محمد ﷺأمي ليس لديه من معرفة البشر سوى ما يمكن أن يمنحه له وسطه الذي ولد فيه [4].ليجد نفسه في أقسى لحظات أزمته الأدبية التي عرفها غار جراء .ولكنه أخيرا وبعد أن ينزل الوحي فيأتيه بكلمته العليا ليملك منذ الآن البرهان الأدبي والعقلي على أن الوحي

---

[1] مالك بن نبي،الظاهرة القرآنية، ص 262-263

[2] المصدر نفسه، ص153

[3] المصدر نفسه ، ص154

[4] المصدر السابق، ص155

لا يصدر عن ذاته ولا يوافيه طوع إرادته[1]. فأبلغه الوحي منذ البداية خصائص هذه الدعوة العظمى بقوله تعالى:﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾[المزمل:5][2] وينزل الوحي لكي يعكس على نظرنا حالته النفسية الجديدة ويؤكد هذا الاقتناع الظافر بقوله تعالى:

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: 1– 4]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾[النجم : ١١ – ١٣]،لتُفرض الحقيقة العلوية للوحي على هذا العقل الوضعي فرضًا يتفق تماما الآن فيه كل ما يراه ويسمعه ويشعر به ويفهمه معنى الحقيقة القرآنية[3].

الفرع السابع: بين القرآن وما فيه من تفاصيل كتب اليهود والنصارى

يقول بن نبي عن النبي ﷺ:ما كان لديه أي التباس في مصدر ذلك الوحي.فخارج معلوماته لم يكن يستطيع أن يجد الحقيقة القرآنية عند أي مصدر إنساني[4]. ولاشك أن النبي ﷺلم يكن في نفسه مهتماً بمثل هذه المقابلة[5].بل على العكس منه فإن يرى بأن "قصة يوسف المفصلة" مثلا أو"تاريخ هجرة بني إسرائيل المفصل" لا يمكن اعتبارهما مجرد اتفاق عارض، بل يجب حتما أن يأخذ لدى محمد ﷺصفة الوحي العلوية فمن أين له أن يدرك هذا الاتفاق العجيب لهذا الوحي مع ما ورد من التفاصيل التاريخية في التوراة[6].لاسيما عندما يجادل المشركين عن عقيدته، كوفد نجران الذي أتاه ليناقش معه عقيدة التثليث وفي هذا يحدثه الوحي صراحة قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٩٤﴾[يونس: 94] فقال النبيﷺعقب ذلك: (لا

---

[1] المصدر السابق، ص156

[2] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[3] المصدر السابق، ص157

[4] المصدر السابق، ص158

[5] المصدر السابق، ص160

[6] المصدر السابق، ص158

أشك ولا اسأل) [1]وذلك لتحقيق قيمة الوحي بصفة بالنسبة لحقيقة مكتوبة في الكتب السابقة.

وكما قرر الزمخشري:فإن علماء بني إسرائيل :جابهوه ﷺ وسألوه صراحة عن قصة يوسف فنزلت .فقد روي أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين : سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف[2].

يقول بن نبي: سواء صدر هذا التحدي عن أحبار اليهود أو غيرهم فأنها لم تكن لتحسم النزاع إلا بمقابلة دقيقة بين نصوص التوراة وقصص القرآن[3].هذه المقابلة لن تكون إلا مع الحقيقة الواقعية فلا دخل لميزان التاريخ والنصوص في ميزانه عز وجل فالزمان يذهب كحقيقة موضعية مع من جاء لأجلهم حين ينتهي ما خلق له.

إن الاقتناع الشخصي للنبيﷺيتخذ به ذلك الوحي، صورة مطلقة غير شخصية ربانية في جوهرها الروحي في الطريقة التي تظهر بها وبذلك تؤكد وبلا أدنى شك أن محمد ﷺ قد حفظ اعتقاده حتى تلك اللحظة.

يفيد طرحه لمفهوم النبوة عن حقيقة النبوة في الذهنية الإسرائيلية؛ مما يجعلها تسير مسار الكيان الكهنوتي أكثر من كونها رسالة أو رسول أو حتى كلام من الله ويشهد لهم بذلك تاريخهم مع أنبياء بني إسرائيل والقرآن فوق كل شاهد ومنذ أن جاءه ﷺالأمر البلاغ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾[المدثر: ٢] فأدرك حينها ووعى ما به وما حلبه.

أما عن تعبير مالك بن نبي ببعض الألفاظ الشائكة حقيقة؛ والتي استخدمها [كالأزمة الأدبية، نوبة الانهيار العميق، الانهيار العصبي،الاضطراب وغيرها] ورغم أنه يحاول التعبير عن شدة ما مر به النبيﷺ من وخاصة حالة نفسية فنحن نتحفظ على هذه الألفاظ مخافة النتيجة العكسية للهدف الذي سطره بن نبي، فنحن لو وضعنا بعين الاعتبار في كلامنا عن هذه الفكرة أن كتابة الظاهرة القرآنية يعد محاولة موضوعية وإلى حد بعيد كون "أصالة

---

[1] عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق،كتاب أهل الكتاب، باب هل يسأل أهل الكتاب عن شيء، حديث رقم:10211،ج6، ص125.

[2]أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي،ج2، ص415.

[3] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص159

الإسلام حاضرة بقوة" وبشكل موضوعي جيد، إذ هو موجه للمسلم وغيره ويدخل ضمن إطار الرد على الفلسفات اللاَّدينية والآراء الاستشراقيّة في هذه الدراسة. وخدمة لدعم الأساس العقلاني والاستدلالي للإيمان في ضل موجة من العلمنة و الإلحادية والتحلل من الدين، إذا أرجعنا بسلسلة المنطقية نجد أن الإنسان حال تعرضه لشيء غريب ينكب في التفكير في سببها وما ذلك وصولا إلى اليقين بإدراك ما يحصل، فمن الطبيعي أو البدهي حصول ذلك في الذات البشرية السوية. وهذا ما يؤكده مالك بن نبي أيضا كونها رد فعل طبيعي إزاء ظاهرة خارجة عن ذاته.

ومع ذلك فإننا وبتسليمنا لحادثة شق الصدر فإننا بهذا الاعتبار نرجع خطوة للتثبت من جدوى تلك الألفاظ في مواضعها هذه، والاعتبار الذي جعلنا نناقش هذه الفكرة كونها احتمال أن تكون مدخل للشبهة هو بصدد دحض وإبطالها وتشويه صورة الذات المحمدية في ذهنية الذي يقرأ عنه لأول مرة خاصة؛ مع احتمالية خلق دافعية التحري والبحث ليصل الباحث عن الحقيقة إلى شيء لا يبدو كما هو في ذلك التعبير. فالاحتراز اللفظي من شأنه يزيد دراسته هذه موضوعية أكثر. ولمناقشة هذه الألفاظ اخترنا البحث في تفسير سورة الشرح لما لذلك من علاقة برأينا حولها من خلال ما جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾[الشرح: ١ – ٢]

أولا:لقد اختلف في معنى شرح الصدر إلا أنه لا منافاة فيما قالوا وكلها يكمل بعضها بعضا فقيل :هو شق الصدر وغسله وملؤه إيمانا وحكمة[1].

وقيل:أخرج منه الغل والحسد في شيء كهيئة العلقة وأدخلت الرأفة والرحمة وجعل قلبه وعاء للحكمة[2] .

وما امتن الله به عليه من شرح الصدر أوسع وأعم من ذلك[3]، وقد يكون ما يساعد على تلقي تلك التعاليم من الوحي[4]، ممالا يتأتى إلا ممن شرح الله صدره[1].

---

[1] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،(د.ط)، بيروت، دار الفكر ، سنة 1995م. ج8 ص 573

[2] المرجع السابق،الصفحة نفسها.

[3] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[4] المرجع السابق ،ص574

ثانيا:معنى لفظ الوزر

لقد أُفرد لفظ الوزر وأُطلق، ولم يبين فاختلف فيه كثيرا:

- فقيل: ما كان فيه من أمر الجاهلية، وحفظه من مشاركته معهم[2]، فلم يلحقه شيء منه.
- وقيل ثقل تألمه مما كان عليه قومه ولم يستطيع تغييره،وشفقته بهم[3].
- وقال أبو حيان هو كناية عن عصمتهﷺمن الذنوب وتطهيره من الأرجاس[4]

- وقال ابن كثير: هو بمعنى قوله تعالى:

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح: 2][5].

فكلام أبي حيان يدل على العصمة، وكلام ابن كثير مجمل وفي هذا المجال مبحث عصمة الأنبياء عموما.فأما ما جاء في خصوص النبيﷺفإنه مهما يكن من شيء فإن: عصمته ﷺ من الكبائر والصغائر بعد البعثة يجب القطع بها، وذلك لما جاء في نص القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾[الأحزاب:٢١] لوجوب التأسي به وامتناع أن يكون فيه شيء من ذلك قطعا[6].أما قبل البعثة فالعصمة من الكبائر أيضا يجب الجزم بها لأنهﷺفي مقام التهيؤ النبوي من صغره، وقد شق صدره وأخرج منه حظ الشيطان. ووقوع شيء منه يؤخذ عليه في معارضة دعوته (افتراضا)وهذا ما لم يذكر منه شيء[7].فلم يبق إلا القول في الصغائر:فهي دائرة بين الجواز والمنع .فإن كانت جائزة ووقعت فلا تمس مقامه (أي نبوته) لوقوعها قبل البعثة

---

[1] المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

[2]المرجع السابق ، ص 575

[3]المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

[4]المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

[5] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[6] المرجع السابق، ص576.

[7] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

و التكليف و أنها قد غفرت وحط عنه ثقلها.فإن لم تقع ولم تكن جائزة في حقه فهذا هو المطلوب.[1]

وقد ساق الآلوسي في تفسيره دلائل تاريخية عجيبة، من خلال شهادة عمه الذي كفله وكان شديد الاعتناء بأمره إلى أن بعثه الله عز وجل إذ روى أنه قال يوما لأخيه العباس ألا أخبرك عن محمد ﷺبما رأيت منه، فقال بلى. قال: إني ضممته إلي فكنت لا أفارقه ساعة من ليل ولا نهار (...)فأمرته ليلة أن يخلع ثيابه وينام معي(...)فقال: يا عماه اصرف وجهك عني حتى أخلع ثيابي إني لا أحب أن تنظر إلى جسدي، فتعجبت (...) فلما دخلت معه الفراش إذا بيني وبينه ثوب والله ما أدخلته في فراشي فإذا هو في غاية اللين وطيب الراحة كأنه غمس في المسك، فجهدت لأنظر إلى جسده[2] فما كنت أرى شيئا كثيرا،و ما كنت أفقده من فراشي فإذا قمت لأطلبه ناداني ها أنا يا عم فارجع(...) وكان يقول في أول الطعام:بسم الله الأحد، فإذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله، فكنت أعجب منه ولم أر منه كذبة ولا ضحكا ولا جاهلية ولا وقف مع الصبيان وهم يلعبون[3].

ما يجعلنا نجعلها "الصغائر" في دائرة الامتناع لما رأينا من عجيب هذا الصبي فما بالك به شابا ثم نبي،ﷺ وما كان عليه من الوحدانية المطلقة وسلامة الفطرة ونقاء سيرته من كل شائبة يستعتب عليها ما يجعله قرآنا يمشي بفطرة وتأييد لا يدلان إلا على خصوصية تفوق كل ما قد يختص به بشر عادي "عصمتهﷺ "لما كان عليه من التزام بالتوحيد الفطري المؤيد بالهداية الإلهية والعناية الربانية ومع كل هذا فالقرآن يدلنا عليه وعلى كونه بشرا منا وإنما خصه الله بالرسالة وباصطفائه. كما هي حال الأنبياء في مبحث العصمة**قَالَ تَعَالَىٰ**:

﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾[الإسراء:93]. وقوله بشرا رسولا منكم ،وقد استعتبوا وقالوا: أبشر يهدوننا (على لسان القرآن).

---

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها .

[2] شهاب الدين محمد الآلوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ،تحقيق: علي عبد الباري عطية .دار الكتب العلمية بيروت : ط1.1415هـ ص 380 ج 15

[3] المرجع نفسه، ص 381

وبعد هذا العرض اليسير فإن تلك الألفاظ مما يقع داخل نفس الإنسان وشعوره من حزن ودرك والذي يقره قول النبيﷺ إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزنون[1].فالخصوصية النبوية تقع في(الفعل وليس في الشعور) أي في تعامله مع ما يقع في نفسه. فكل إنسان يحزن لمصابه،لكن هل كل فعل الإنسان حال ذلك صحيح أو مكتمل الأركان في التعامل مع ذلك الوضع؟

وهنا يقع الفرق فقد أرسل لنا الله سبحانه وتعالىﷻ (بشيرا رسولا) فهو يقع في نفسه ذلك ويدور في عقله، ما لاقاه حين نزل عليه ما نزل. ليؤكد لنا أن ذاته البشرية من جنس من أرسل فيه ليعبر عن الإنسان في أسمى ما يكون وعلى أكمل ما يكون " دون أن يكون من جنس ملائكي " فلو شاء الله لبعث فينا ملائكة لكن لتكون حجة على العالمين .لينزل الوحي القرآني بأمره : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[الإسراء: 93]فما يميزه هو ذلك الاصطفاء الإلهي وليس تلك العبقرية البشرية (ذكاء خارق) أو شيئا من الاجتهاد الإنساني(المكاشفات العرفان ؛ فالنبوة و الرسالة شيء خارج عن طور القدرة الاجتهادية البشرية في أقصى حالاتها وهي : (العبقرية،الخوارق، المكاشفات)وهذا الاستنكار المعارض لدعوى النبوة شيء حاضر في تاريخ الأنبياء أو على حد وصف مالك بن نبي فهو ظاهرة أو هو توابع هذه الظاهرة باعتبار تكراره وبدليل قوله:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾[القمر: ٢٣ – ٢٥]، والمعارضة واردة في كل حال ، فلو أنزل الله ملكا فرضا لقالوا هذا ما ليس فيه رجحان إذ تختلف فيه الماهية و الاستعدادات .متضحا في قوله تعالى :

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥]، ليجد المنكر ؛ في نفسه دائما ما يهرب إليه ، لكنه يعود حينما يعقل ما أنذر به.ما يؤكد أن محمداً ﷺ لم يأت بهذا القرآن من عنده .ولا تهيأ له أي(ذاتيا) أن يسمو

[1] البخاري،الجامع الصحيح،كتاب الجنائز،باب قول النبي صلى الله عليه وسلم انا بك لمحزونن،حديث رقم 1303، ج2،ص83.

بنفسه إلى هذا القدر لولا المقام فيه أي نبوته واصطفائه له منذ الغابر، فقد بشر به في كتبه لكي لا يكون على الله حجة بعد الرسل .ولكن تأبى نفس الجاحد والغافل عن الحقيقة التي أرسلها الله لعباده وهدى بها الناس و جعلها حجة إلى يوم يبعثون باعتباره خاتم الأنبياء و المرسلين ﷺ.فطهر الله قلبه من الآثام .(قبل وبعد الرسالة) . مما يدل على خصوصيته ﷺ وبوجه أخص في قوله : " ولا جاهلية " ،فهنا نتوقف عندها وهنا مبلغ القول؛ فكان على بيِّنة من الله دون أن يدرك في حماه ، إلى أن أدرك (بعد نبوته)هذا الاصطفاء وهذه الرسالة .

فموضوع ذات النبوة وما عليها،كان يظهر عليه أماراتها. والحاصل منه أن إدراك النبي ﷺ كان مع الوحي فكان حصول إدراكه لعلامات نبوته " بعدي "،كان بعد نزول الوحي وهنا يسميه مالك بن نبي بالاقتناع الشخصي للنبي. ذلك أن أهل الكتاب على علم بصفاته، وما فيه من دلائل على ذات النبوة فيه ﷺ بدليل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾[البقرة:146]

الفرع الثامن:النبوة المحمدية في الظاهرة القرآنية

1 – مقام الذات المحمدية في الظاهرة القرآنية:

يدرس مالك بن نبي المكانة الذات (المحمدية في النص القرآني) من خلال التحليل الشكلي للآيات والذي يسميه بالمقياس الظاهر ومن الخلال التحليل النفسي أيضا.

– تعبر هذه الظاهرة عن عملية نفسية أخرى مختلفة تماما أي (ذات المتكلم)؛ لكنها متحدة معها في الزمن[1]. لأن الحوار واحد، ما يجعلنا نخلص إلى: التباعد الجوهري و الاتحاد الزمني، ليسفر عن تعدد في الذوات لا يمكن أن تضمه وحدة نفسية(فأشار إلى أنه ليس من والحي النفسي كما جاء في الشبهة التي مفادها أن هذا القرآن تكون عند النبي في اللاشعور)[2].

[1] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية،ص 162.

[2] المصدر نفسه،ص 163.

– التباعد البين بين الذات المتكلمة والذات المخاطبة[1]؛ فالأولى آمرة حازمة والثانية مضطربة مجفلة الخاشعة و القاطعة.

–الوضع النسبي للذات المحمدية في الخطاب القرآني [2].

– انعدام الطابع الشخصي في الخطاب القرآني :

صمت الذات المحمدية المخاطبة أمام الذات المتكلمة بشكل أولي ونهائي ومستمر ليعبر عن موقف تسليمه وصمته في الخطاب القرآني ، الذي يؤكده انعدام وجود للأحداث الخاصة لتاريخه الشخصي [3].

–الأسلوب الأدبي الكامل للوحي وبرهانه على دعوة النبيﷺ[4].

– يرى من خلال الجانب النحوي للآية أن هناك على وجه التحديد فاعل ضمني(الذات المحمدية) التي يتغير وضعها بالنسبة إلى الفاعل الحقيقي [5]،ما يسمى في التفسير القديم " بالالتفات " والذي يرى بأنه مجرد تفسير سطحي للمشكلة[6] .

2 – السنة النبوية عند مالك بن نبي:

يعبر عنها بن نبي بمصطلح "الفكرة المحمدية"، وهذا الأخير لا يعبر عن حقيقة الذات المحمدية إذ يرى هو في حد ذاته :أن محمداًﷺ ليس عقلاً منهجياً يبحث عن نظرية في الكون واتساقه،ولا هو فكر مضطرب يبحث عن طمأنينته وخاصة منذ اعتزاله، فهو يؤمن بإله واحد هو رب إبراهيم.بل يرى أنه من الخطأ أن يرى النقد الحديث في هذا العصر مرحلة من البحث والقلق،و نوعاً من إرادة التكيف وتخلّق الفكرة عند النبي،على أن المشكلة الغيبية لم تساور ضميره[7].

---

[1] المصدر السابق،ص 162.

[2] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[3] المصدر السابق،ص163.

[4] المصدر السابق،ص 164.

[5] المصدر السابق،ص 165.

[6] المصدر السابق،ص 165-166.

[7] المصدر السابق،ص122.

يقول بن نبي: الفكرة المحمدية تختلف عن الوحي القرآني من حيث القيمة لأن الفكرة التي تنبعث من معرفته البشرية.[1] وذلك من خلال قوله:"هانحن أولاء نرى أن النبي قد ألغى بنفسه هذا الحديث أمام تجربة بستاني بسيط، مقرراً بذلك أسبقية العقل والتجربة في سير النشاط الدنيوي.[2]"إذ يرد الفصل في القرآن بين الفكرة المحمدية والفكرة القرآنية بدليل قوله تعالى ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾[طه:١١٤][3]فعنصر الصياغة الخاصة بالحديث هو أسلوب الرجل أي محمد ﷺنفسه[4]، والأحاديث المحمدية والوحي القرآني يمثلان أسلوبين لكل منهما طابعه وصياغته الخاصة[5].لأن الفرق بينهما قاطع تاريخيا و نفسيا[6].

إذ لا نجد حالة واحدة نسخ فيها النبي آية قرآنية بتجربة فردية حتى ولو كانت تجربته هو نفسه[7].فهو يرى بأن إقرار النبي ﷺ لصاحب البستان يعلن على الفور أن التجربة الشخصية (الخبرة) مقدمة على رأي الفرد حتى ولو كان النبي[8]، الرواية التي اعتمدها مالك بن نبي والروايات الأخرى للحديث تختلف في بعض المناحي مما يفضي إلى التوجه الاستدلالي المخالف والصحيح في هذا الموقف هو أن النبيﷺ لم يقترح طريقة معينة في تأبير النخل. وعن عائشة وعن ثابت وعن أنس أن النبيﷺمر بقوم يلقحون فقال: " لو لم يفعلوا لصلح" قال فخرج شيصاً" وهو رديء الثمر"،فمر بهم فقال: "مال نخلكم" قالوا: قلت كذا وكذا. قال: " أنتم أعلم بأمر دنياكم". إنهﷺ قد شك في صلاح نتيجة عملهم، وقد كان في

---

[1] المصدر السابق،ص168.

[2] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[3] المصدر السابق،ص171.

[4] المصدر السابق،الصفحة نفسها.

[5]المصدر السابق، ص172.

[6] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[7] المصدر السابق، ص 168

[8] المصدر السابق، ص 167

عرضه لرأيه يسوقه على سبيل الاحتمال دون إلزام. ولذلك عقب على النتيجة قائلاً في حديث (إني إنما ظننت ظناً) وفي هذا (أنتم أعلم بأمر دنياكم)[1].

الفرع التاسع:خصائص الوحي الظاهرية وصورته الأدبية

1-خصائص الوحي الظاهرية

أ التنجيم:

- أن الوحي لا يكون ظاهرة مؤقتة أو خاطفة (فبين كل وحي وما يليه مدة انقطاع متفاوتة، خاصة عندما أن القرار النبوي يعتقد ومن الواجب ألا يصدر قبل تصديق السماء)[2]، وهذا يتمثل جليا في حادثة الإفك التي لم يفصل فيها الوحي إلا بعد شهر. والذي يبدو (ظاهريا) تورطا وجه المستهزؤون من أجله نقدهم الجارح إلى النبيﷺ[3].

-أن مسألة تجزئة الوحي تمكننا من إدراك قيمته التربوية[4].

-نزول الوحي تبعا لأمثلة الحياة نفسها وللواقع المحيط هو الذي كان الطريق إلى القلوب والضمائر (النبي وأصحابهﷺ) [5].

-نزول القرآن جملة واحدة يحولك سريعا لكلمة مقدسة خامدة وإلى فكرة ميتة و إلى مجرد وثيقة دينية ، لا مصدرا يبعث الحياة[6].

-السر في النهوض بالحركة التاريخية و الاجتماعية و الروحية الإسلامية هو التنجيم [7].

-التنجيم كان شرطا أساسيا ضروريا لانتصار الدعوة المحمدية ، فالقرآن يبرز هذه الخاصية الخفية وهو يخاطب النبيﷺ[8].

---

[1] مسلم ، الصحيح ،باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي، حديث رقم 2361،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (د.ط) ،بيروت ،دار إحياء التراث العربي (د.ت) ، ج، 4 ص 1835

[2] الظاهرة القرآنية،ص 179 .

[3] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه،ص180.

[5] المصدر نفسه ،ص181.

[6] المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[7] المصدر السابق،الصفحة نفسها.

[8] المصدر السابق،الصفحة نفسها.

:قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢]

ب–الوحدة الكمِية: باعتبار الوحي ظاهرة منجمة ومتكونة من وحدات متتالية هي الآيات، فإن كل وحي مستقل يضم وحدة جديدة إلى المجموعة القرآنية[1].

العلاقة بين الذات المحمدية والظاهرة القرآنية من خلال الوحدة الكمية :

–فهي تتناسب في الزمن مع حالة التلقي عند النبيﷺ، إذ أن إرادته تنعدم مؤقتا أي صمته في الخطاب، القرآني وعن هذا العجز أو الصمت تصدر وحدة التنزيل[2]. لتكشف عن قدرة خالقه ومنظمة، لا يمكن أن تنطوي عليها الذات المحمدية[3].وخاصة في تلك الحالة فإن النبي النبي ﷺ على الرغم من هذا لم يكن لديه الزمن المادي كما يتصور وينظم تعاليمه في البرهة الخاطفة للوحي[4].والتي تعبر أحيانا عن أفكار خارج حدود الفكر تماما في العصر المحمدي[5].[5]

ج الوحدة التشريعية :

يقدم لنا سور النساء كنموذج تشريعي في تطبيقه على قانون الأحوال الشخصية،ويختار لذلك آية واحدة (حرصا على الدقة في الدراسة)،في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ

---

[1] المصدر السابق،ص182.

[2] المصدر السابق،الصفحة نفسها.

[3] المصدر السابق،ص183.

[4] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[5] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ [النساء : 23]

فهو يقرر في نفثة واحدة من الوحي تشريع الزواج بجميع تفاصيله وشروطه القانونية الضرورية . ليشتمل بذلك على حكمين جوهريين هما الاستيعاب والحرص [1].فما كان له ﷺأن ينظمها خلال ومضة الوحي إذ هو أمر يتنافى مع ظروف تلقيه الوحي . لنلجأ دائما لنبحث عن تفسير الظاهرة خارج هذا النطاق أي الذات المحمدية[2].

د – الوحدة التاريخية :

اختار مالك بن نبي آيات من سورة المنافقون لدراستها :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون: 1]

إذ يعطينا هذا النموذج أولا وصف لإطار الحادثة؛ أي مجيء المنافقين إلى النبي ومن ثم لينتقل من الفكرة الرئيسية أن يعلن غدر المنافقين أن يكذب مقالتهم إلى الفكرة التابعة [3]،بتطبيق الملاحظة المذكورة أعلاه: تصبح الآية بالتدقيق كاملة ومطابقة للتركيب العربي (فيما عدا القلب الذي طرأ على وضع الآيتين :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المنافقون: 3–4]. فربما تتعرض في نسقها الجديد للنقد لتكون برهان خطيرا ضد القيمة العلوية للقرآن فمعنى الآية (4)كله أصبح تكذيبا لا لغدر المنافقين ،لكن دقة التركيب القرآني ولأن الآية (3) تابعة تأتي لتؤكد

[1] المصدر السابق،ص184.

[2] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[3] المصدر السابق،ص186.

أولا صحة رسالة النبي، (رغم شهادتهم بذلك قبل إثبات كذبهم)فهذه الدقة تتنافى مع الظروف النفسية والزمنية التي تتضح فيها الوحدة الكمية للقرآن [1]

ليصل مالك بن نبي بعد ذلك إلى أن:

-الخطاب القرآني من الناحية الشكلية يعد عرضا شفويا لا تظفر فيه الفكرة بالزمن المادي الكافي لتحقيق الدقة المنطقية التي نلمسها في الأسلوب المكتوب[2]، أي لا مجال لتخلق الأفكار القرآنية نظرا للحالة النفسية النبوية وللمدة الزمنية لتلقيه.

-تبرز الوحدة الكمية من خلال آيات القرآن الدالة على ترتيب وتفكير وإرادة [3].

2- الصـــورة الأدبيـة في الـقـرآن:

يعترف مالك بن نبي بسيطرته القاصرة على عبقرية اللغة الجاهلية،ويقول الآية ستقصي ناحية شعر البادية لكن نسقه سيبقى وتحررت من الوزن فاتسع مجالها. لتسجل لنا التأثير الغالب الذي كان لآيات القرآن على النفس البدوية[4].

فهو ظاهرة لغوية فريدة في تاريخ اللغات. فمن البين أن القرآن ولتعيين مفاهيم توحيدية جديدة نوعيا .وكأن ما قد استحضر القرآن ثروته اللفظية الخاصة.التي خلقت فصلا تاما بين اللغة الجاهلية واللغة الإسلامية بتغيير الأداة الفنية في التعبير لكي يصل العقلية الجاهلية بتيار التوحيد[5].

وقد أثبت بن نبي ذلك من خلال اختياره لـ:التعبير الإنجيلي ملك الله Royaume de Dieu فإن القرآن لم يضعه بحرفه بل شكله في هيأة خاصة تمنحه أصالته الإسلامية[6]، ليطرح هنا مسألة إشكالية الترجمة فكلمةRoyaume مرادفها العربي لفظ"ملك" ولقد تمثله القرآن في صورة اللفظ أيام في قوله تعالى:﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ﴾[إبراهيم: ٥]

---

[1] المصدر السابق،ص.187.

[2] المصدر السابق،الصفحة نفسها.

[3] المصدر السابق،ص188.

[4] المصدر السابق،ص190.

[5] المصدر السابق، ص191.

[6] المصدر السابق،ص192

فيقول عن القرآن :وهو بهذا التكييف يتحاشى اللبس الذي قد ينشأ من الترادف بين الألفاظ و الذي قد يغير كثيرا من مغزى التعبير الإنجيلي[1].

تعرضت الثروة اللفظية القرآنية كما يرى مالك بن نبي في جميع تفاصيلها لمثل هذا التكيف الاشتقاقي الرائع[2].كما حدث للقب العزيز في قصة يوسف والتي هي في التفسير العبري لاسم الشخصية الكتابية.كلمة مصرية مركبة معناها عزيز الإله شمس[3]. ليكون أكثر تطابق مع روح التوحيد الإسلامية، فإذا به يكتفي بلفظة العزيز "[4].

الفرع العاشر: الموضوعات القرآنية و مضمون الرسالة المحمدية

وطبقا لتعبير القرآن نفسه **قَالَ تَعَالَى:**

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الأنعام: ٣٠]يقول الفيلسوف كارليل توماس:"هذا صدى متفجر منقلبا لكون نفسه"[5].لنجد ما يشبه الاعتراف التلقائي لضمير إنساني بهت أمام عظمة الظاهرة القرآنية التي تتلخص دائما في نطاق القانون الأرضي.إن الذات المحمدية مجرد واسطة لعلم غيبي مطلق، والتي تشغل فيه مكانا ضئيلا، لتاريخ ﷺ كالإنسان وهذه النقطة الضرورية لأنه دراسة نفسية تحليلية لموضوع القران الذي شغل منذ بعيد اهتمام المستشرقين لغايات ودوافع مختلفة ومتخالفة[6].

1- العلاقة بين القرآن والكتاب المقدس:

يقول بن نبي في موقفه هذا القرآن يؤكد مستعلنا صِلاته بالكتاب المقدس ويؤكد هذه القرابة صراحة ولفت إليها النبي ﷺ بدليل قوله تعالى:

---

[1] المصدر السابق، الصفحة نفسها

[2] المصدر السابق، الصفحة نفسها

[3] المصدر السابق،ص194

[4] المصدر السابق، الصفحة نفسها

[5] المصدر السابق،ص 195

[6] المصدر السابق،ص196

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨] [1].

لقد جاءت معاني هذه الآية في تقرير الوحي واثبات نبوتهﷺفلم يكن من شأنه أن يُختلق من غير الله تعالى ولكنه وحي إلى رسوله، أنزله تصديق الذي بين يديه من الكتب الذي سبقت نزوله[2] وانطلاقا من أن الأخلاق الدينية (التوحيدية)تدفع الفرد إلى أن ينشد دائما ثواب الله قبل فائدته .من أجل ذلك صاغت التوراة الميثاق الخلقي الأول للإنسانية في وصاياها العشر،وساق الإنجيل توجيهاته في عظة المسيح وهو في كلا الكتابين مبدأ أخلاقي سلبي (المنع)،بالكف عن فعل الشرعي في حاله وبعدم مقاومة الشر في أخرى على ما جاء به القرآن من مبدأ إيجابي أساسي لتكميل منهج الأخلاق التوحيدية هو لزوم مقاومة الشر والاختلاف من في الاستمرار في مقاومة الشر ليقر القرآن فكرة الجزاء كأساس للأخلاق التوحيدية[3].

وبمقابلة أقامها مالك بن نبي بين الكتاب المقدس والقرآن العظيم من خلال سورة يوسف،يُبرز الطابع الخاص بالقرآن؛ فالرواية الكتابية تكشف عن أخطاء تاريخية تثبت صفة (الوضع التاريخي)،فمثلاً فقرة " لأن المصريين لا يجوز لهم أن يأكلوا مع العبرانيين " ذهب إلى تأكيد أنها من وضع النساخ الميالين لتذكّر بفترة محن بني إسرائيل في مصر [4].

2- البحث النقدي لمسألة استخدام الكتب المقدسة في تأليف القرآن الكريم

أ- وجود تأثير يهودي مسيحي في الوسط الجاهلي

الوثائق المخطوطة عن هذا العصر نادرة، ثروته الفكرية وأدبه الشعبي لم يحفظا إلا بطريق الرواية المشافهة، الذي أوصل جوهر التراث إلى عصور الأدب والعلم الإسلامية.

على أن القرآن الكريم يعد حجة مخطوطة ذات وثوق تاريخي لا يقبل الجدل. ولكن هذه الوثيقة الوحيدة تؤيدها الرواية المشافهة فيما يتعلق (بفكرة توحيدية) ذائعة في الوسط

---

[1] أبو بكر الجزائري أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ،ط5 ،المدينة المنورة،مكتبة العلوم 2002 م،ج2،ص473.

[2] مالك بن نبي ،الظاهرة القرآنية،ص193

[3] المصدر نفسه،ص193.

[4] المصدر السابق، ص245.

الجاهلي تؤكد مرات كثيرة أن لا وجود للتأثير الديني في العصر الجاهلي. وحين يتجه القرآن مرة أخرى إلى النبي نجده يحدد له مفهوم رسالته وعين صراحة معلم الوحدانية الأول لبلاد العرب قائلاً:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾[البقرة:151][1].ليؤكد انعدام أي تأثير يهودي مسيحي في الحياة الجاهلية، وهو ما أكده القرآن بقوة، وأيدته الأخبار المتواترة.[2] إن القرآن الذي يذكر لنا صدى ما دار من المجادلة بين النبي وبعض أحبار اليهود بالمدينة،يقول مخاطباً هؤلاء:﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣ ﴾[آل عمران: 93]

فكان دليلاً على عدم وجود من يقرأ العبرية من العرب من ناحية، وعدم وجود ترجمة عربية للتوراة من ناحية أخرى(...) ليصبح من المستحيل إمكان حدوث (امتصاص لاشعوري) للذات المحمدية،في هذا الوسط الجاهلي[3].

ب: تعلم النبي ﷺ الكتب المقدسة واستخدامها في البناء القرآني

يرى بن نبي أن ذلك" غير محتمل؛ إذا ما اعتبرنا النتيجة العامة عن النبوة، والنتيجة الخاصة عن الذات المحمدية،وهي إخلاص هذه الذات واقتناعها الشخصي ويقول أيضا : نحن نجد أنفسنا مضطرين لأن نعد تعلم محمد الشخصي المباشر كأنه (حالة إدراك منسية لدى التعلم نفسه)، والأمر في هذه الحالة يتعلق في جملته بظاهرة نسيان جد غريبة،علماً بأن جميع تفاصيل حياة النبي تشهد عنده بمعادلة شخصية كاملة. وخاصة ذاكرته التي كانت خارقة لكل اعتبار،حتى في حالة التلقي التي كان يعانيها [4].

أما من الناحية التاريخية،فإذا كان هذا المصدر الأجنبي قد وُجد لتعليم النبي،فلن يكون سوى مصدر شفهي، لكي يكون في متناول أمي،وربما كان في هذه الحالة ملقِّن ما؛ يهمس

---

[1] المصدر السابق، ص247-248.

[2] المصدر السابق، ص248.

[3] المصدر السابق ص250 .

[4] المصدر السابق ص251.

دائماً إليه دون علمه بكل ما يتصل بدعوته.وإن الطابع الخاطئ لافتراض كهذا ليقف في مواجهة واقع القيمة القرآنية، والقيمة الذات المحمدية، لينتهي بنا الفرض إلى تناقض تاريخي ونفسي،فنحن مضطرون إلى أن نستنتج أن وجوه الشبه الملحوظة لا تعزى إلى تأثير يهودي مسيحي ذاع في البيئة الجاهلية، ولا إلى تعلم شخصي أو لا شعوري لشخص النبي[1].

ويمكن أن نتتبع الفكرة القرآنية والفكرة الكتابية، لنجد في ما يتصل بالأصول التاريخية موضوعات مشتركة لا تنكر، ولكننا نجد كثيراً من نقط التباعد والاختلاف.

يقول بن نبي: وربما وجب فضلاً عن هذا أن نقرر جدلاً على الرغم من التباعد المذكور في كثير من نقاط التاريخ التوحيدي أن القرآن قد استوحى من واحد أو أكثر من الروايات الكتابية التي لم يعد لها وجود الآن، ولعل من الواجب أخيراً أن نقرر مجاراة لسذاجة النقاد المحدثين أن النبي كان يعمل بطريقة عالم فقيه،يكشف عن كثير من الوثائق ويتأملها،ثم يرتبها وينسقها كي ما يستمد منها الرواية القرآنية؟[2].

4 –ضرورة المفارقة المصدرية للوحي القرآني عن الذات المحمدية

يذهب مالك بن نبي لهذا من بالكشف عن التناقض الموجود بين الميول الطبيعية للنبي كإنسان وبين ما يعتريه في تلقيه للوحي لإثبات إخلاص النبيﷺدائما للحكم الإلهي والخطاب القرآني. يقول:" إن فكرة ما لا تخضع مطلقا للذات الشعورية فمن الممكن أن نفهم من هذا أنها بالضرورة أجنبية عن هذه الذات وأنه لا محل لها في اللاَّشعور[3]، و من بين المناقضات التي حررها بن نبي نختار مثالا "بحادثة الإفك " كأكبر دليل على أن هذا القرآن لا علاقة له بإرادة النبي ﷺ .

التي يقول عنها بن نبي أنها:حُلت حلاً رائعاً في نطاق الظاهرة القرآنية. فالواقع أن النبي قد داهمه الشك،باعتبار إنسانيته، ولكن هذا الإنسان كان ذا ضمير يستمد سموه من سمو دعوته، ويعلم أن أعماله أحكام ومقاييس، ليبحث عن القرار الذي يكون متفقاً مع طبيعته الإنسانية، ومع أساس دعوته العلوي(...) فالنبيﷺ لم يطلقها كي لا ينشئ سابقة قانونية، ولم يعف أيضا كي لا يعرض عظمة دعوته للخطر، ولقد اقتضى هذان الاعتبار أن لديه

[1] المصدر السابق ص253.

[2] المصدر السابق، ص257.

[3] المصدر السابق، ص175.

حالة معينة كان يعاني خلالها ولم يكن على النبيﷺ من الوجهة الإنسانية أن يتخذ موقفاً آخر، أو أن يعمل شيئاً مطلقاً، وقد كانت هذه خطته فعلاً حتى نزل الوحي، فإذا به يُعتَق الرجل من شكه وتردده،معرضاً في الوقت نفسه القيمة العلوية للرسالة لاختبار هائل[1].

وبهذا يُدرَك ضرورة ذلك الاختلاف الجوهري، والمفارقة الواضحة بين ما يرغب فيه ﷺ لكنه لم يكن بيده إلا أن ينتظر الوحي الإلهي ،أن ينتظر القول الفصل، في تسليم لا ينضب أيا كانت النتائج، ولولا ذلك لما كان ليقول: "فإن كنت بريئة فسيبرئك الله،وإن كنت ألممتِ بذنب فاستغفري". والذي يؤكد بدور ثان نبوته ولا يمكن لأي بشر أن يكون بهذا القدر من التحوُّط والأناة، فهو ليس ممن قد يستبق الحكم إلا أن يحكم الله له، ليشهد له التاريخ أنه كان رسول الله حقا ومبلغ رسالته إلى الناس صدقا .

[1] المصدر السابق ص269-271

المـبحث الثـالــث:

الوحي القرآني رؤية مقارنة بين بن نبي و دراز

المطلب الأول: أوجه التشابه بين مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز

المطلب الثاني :أوجه الاختلاف بين مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز

الوحي القرآني رؤية مقارنة بين بن نبي و دراز

يثير طرح المفكرين مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز لمسألة الوحي القرآني تقاربا واختلافا في الوقت نفسه، فما هي أوجه التشابه عند المفكرين وما هي أوجه اختلافهما؟

المطلب الأول: أوجه التشابه بين مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز

تمثل مسألة الوحي القرآني عند مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز هاجسا مشتركا حملاه واشتغلا عليه واهتما به فكلاهما قد وجد في عصر واحد، لتكون بذلك مساهمة في دعم الأساس العقلاني للإيمان ولإثبات المصدر الحقيقي للقرآن، وبغية طرح هذه المسألة بلغة العصر، اتصالا بالعقل والتراث ، وبالعلم والعقيدة.

تشابه مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز في طرح مسألة الوحي القرآني كموضوع وفي إثبات مصدرية القرآن العلوية كهدف، وفي ترسيخ الإيمان ليكون مؤسسا على البناء العقلي والدليل المنطقي والحجة والبرهان؛ كوظيفة لتثبيت العقائد الإسلامية ووسيلة لفعاليتها وتحقيقها.وذلك من خلال توظيف العامل التاريخي والأدبي والتحليلي النفسي فأما العامل التاريخي فيمثله استخدامهما للوثائق التاريخية؛ ممثلة بكتب السيرة الإسلامية؛ والكتب المقدسة والروايات التاريخية الكتابية(هنا الروايات استخدمها مالك بن نبي في دراسة النبوة الإسرائيلية)، وأما العامل الأدبي؛ فتمثله الدراسة الأسلوبية عند الشيخ دراز، والصورة الأدبية عند مالك بن نبي، وأما العامل النفسي؛ ممثلا بدراسة أحوال شخصية النبي ﷺخاصة.

نذكر في هذا المطلب البعض من المواضيع المتشابهة.

الفرع الأول: نماذج من الردود على الشبهات

1 – ردهما على أن القرآن وحي نفسي

نختار لهذا نموذج "حادثة الإفك ".إذ تمثل موضوعا وهدفا مشتركا؛ كدليل لدحض هذه الشبهة، حيث يرى الشيخ دراز أنه لو كان ليأتي بالقرآن من تلقاء نفسه لما كان لينتظر شهرا بأكمله، حتى أن أصحابه أشاروا عليه فقالوا: ما علمنا عليها من سوء، فلم يزد على أن قال

لها آخر الأمر : "يا عائشة أما إنه بلغني كذا وكذا ، فإن كنت بريئة ، فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله [1].

يقول دراز: "فماذا كان يمنعه لو أن أمر القرآن إليه؛ أن يتقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل ليحمي بها عرضه، وينسبها إلى الوحي السماوي، ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله"[2]،"وأنه كان يجيئه القول فيها على غير ما يحبه ويهواه. فيخطّئه في الرأي يراه. ويأذن له في الشيء لا يميل إليه. فإذا تلبث فيه يسيرا تلقّاه القرآن بالتعنيف الشديد والعتاب القاسي، والنقد المر، حتى في أقل الأشياء خطرا بل لو كان هذا القرآن يفيض عن وجدانه لكان يستطيع عند الحاجة أن يكتم شيئا من ذلك الوجدان. ولكنه وحي لا يستطيع كتمانه" [3].

ليشهد على نفسه بأن ليس لما توحيه نفسه في هذا القرآن شأن،وكما يقول بن نبي: "فقد اتسم موقفه إزاء ما يحصل معه بالحيطة والتحفظ إذ هو من الوجهة الإنسانية لم يكن ليتخذ موقفا آخر، فهو بعقله الذي ينشد الحقيقة رغم ما ألمَ به، يلتزم حياداً دقيقاً بين يوحيه ضميره البشري وبين ما يمليه الوحي الإلهي؛وهكذا تظهر لنا بجلاء مناقضة صريحة بين ذات مشدودة إلى الحيطة والتحفظ، وبين ما ينزل به الوحي عليها من أحكام قاطعة"[4].

وفي نطاق الظاهرة القرآنية حُلت المسألة حلا رائعا فالنبيﷺقد دهمه الشك، فلقد كان إنساناً على الرغم من كل شيء، ولكن هذا الإنسان كان ذا ضمير يستمد سموه من سمو دعوته، فهو يعلم أن أعماله ستكون أحكاماً ومقاييس، وبهذه الصورة تعد المسألة اختباراً حاسماً للدعوة (...) أما النبيﷺفلم يطلقها كي لا ينشئ سابقة قانونية، ولم يعف أيضا كيلا يعرض عظمة دعوته العلوية للخطر[5]. إذ يضع في اعتبارهﷺ مقام الأسوة والقدوة في رسالته وينفي أية استباق حُكمي فيثبت ما يحكم الله وأنه ليس بفاعل إلا أن يأمر الله فيبلغ أمره.

---

[1] محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم ، ص23.

[2] المصدر نفسه، ص24.

[3] المصدر نفسه، ص24 -24.

[4] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص280-281.

[5] المصدر السابق، ص279.

2 – عدم أخذ النبي ﷺالقرآن عن معلم في الأرض:

لقد تناول كل منهما هذا الموضوع فتشابهت الفكرة رغم اختلاف المصطلحات؛ فنجد محمد عبد الله دراز يرى بأن "من المسَلم به أن محمدا ﷺلم يكن له معلم من قومه الأميين، فذلك مما لا شبهة فيه لأحد ولا نحسب أحدا في حاجة إلى الاستدلال عليه بأكثر من اسم (الأمية) الذي يشهد عليهم بأنهم كانوا خرجوا من بطون أمهاتهم لا يعلمون من أمر الدين شيئا[1]، وأنه لم يلق ولم ير بعينه أحدا من علماء هذا الشأن لا قبل دعوى النبوة ولا بعدها[2]"، فلم يبق إلا أن يكون متلقيا من غير البشر.ويؤكد مالك بن نبي هذا الرأي ب"أن محمدا ﷺ ليس لديه من معرفة البشر سوى ما يمكن أن يمنحه له وسطه الذي ولد فيه"[3]،فهو لا يوافيه طوع إرادته ولا يمكن أن يخضع له[4]، إذ لم يكن هذا الموضوع مما قد يشغله أو يستولي على اهتماماته بدليل "رد فعله الطبيعي إزاء هذه الظاهرة الخارجية"[5].

الفرع الثاني :من خصائص القرآن الكريم

من بين هذه الخصائص نجد:

1 – وحدة القرآن الكريم:

إن مسألة الوحدة القرآنية والتي تعتبر خاصية من خصائص الوحي القرآني والتي عبرت عنها وحدة مواضيعه. وهو أهم موضوع دال على وحدة المصدر القرآني حتى أنه لا يكاد يخلو موضوع الوحي القرآني من تناول هذه المسألة، في كافة الدراسات غالبا؛على اختلاف تعبيرات الدارسين والكتاب، وهي بدورها تحل محلا لا بأس به عند كل من دراز وبن نبي.

إذ تظهر الوحدة الموضوعية عند محمد عبد الله دراز في شكل وحدة النظام المعنوي المحكم للقرآن الذي أبرزه في إطار عرضه لسورة ليقول: أن عظمة الثروة المعنوية في أسلوب القرآن تظهر في تناسق أوضاعها ، وائتلاف عناصرها، حتى إنها لتنتظم منها وحدة محكمة لا انفصام لها، ليبرز تلك الوحدة الطبيعية (المعنوية) من إحكام هذه الوحدة الفنية

---

[1] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص55.

[2] المصدر نفسه، ص56.

[3] مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية،ص155.

[4] المصدر نفسه، ص156.

[5] المصدر نفسه، ص147.

(البيانية)[1]،ويدرجها لإبراز وحدة النظام المعنوي في سورة البقرة جملة [2].والتي عبر عنها مالك بن نبي بمصطلح الوحدة الكمية حسب السياق المدرج وذلك "لإثبات وجود وحدة في كل نجم منزل، سواء كان هذا النجم يحمل آية واحدة أو مجموعة من الآيات أو سورة الكاملة وأعجب من ذلك هو وضع هذا النجم في موضعه الترتيبي بين آيات القرآن وسوره وعلاقته بما قبله وبما بعده ليثبت من خلال هذه الوحدة الكمية حقيقة مصدر الوحي" [3]؛ باعتبار" الوحي ظاهرة منجمة ، ومتكون من وحدات متتالية هي الآيات، فكل وحي مستقل يضم وحدة جديدة إلى المجموعة القرآنية "[4]، هذه الوحدة تؤدي بالضرورة فكرة واحدة ، وأحيانا مجموعة من الفكر المنتظمة في أسلوب منطقي ، يمكننا ملاحظته في آيات القرآن ، ودراسة هذه الفكرة في ذاتها وفي علاقتها ببقية حلقات السلسة تكشف عن قدرة خالقة ومنظمة لا يمكن أن تنطوي عليه الذات المحمدية [5].

2 – العلاقة بين القرآن والكتب المقدسة :

يقول محمد عبد الله دراز:" لقد بقي القرآن محفوظًا في حرز حريز، إنجازًا لوعد الله الذي تكفل بحفظه ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[الحجر:9] ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكفل الله بحفظها، بل وكلها إلى حفظ الناس،قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[المائدة: 44] أي بما طلب إليهم حفظه، والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد،وأن هذا القرآن جيء به مصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها، فكان جامعًا لما فيها من الحقائق الثابتة، زائدًا عليها بما شاء الله زيادته".

---

[1] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم ، ص144.

[2] المصدر السابق، ص160.

[3] دعاء محمد رياض أبو زيد، الوحدة الموضوعية في السورة المتعددة القضايا في التفسير الإذاعي للدكتور محمد عبد الله دراز، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس 117، العدد 24،ج2، 2018، ص 10.

[4] مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، ص182.

[5] دعاء محمد رياض أبو زيد، الوحدة الموضوعية في السورة المتعددة القضايا في التفسير الإذاعي للدكتور محمد عبد الله دراز،ص11.

وبدوره مالك بن نبي يطرح هذه الفكرة ولكن على سبيل التشابه بين القرآن والكتاب المقدس ممثلا بتاريخ الأنبياء الذي يتوالى، فأحياناً نجد القرآن يكرر القصة نفسها وأحياناً يأتي بمادة تاريخية خاصة به"[1]، "ليؤكد القرآن صلته بالكتاب المقدس،وليثبت "باعتداد"التشابه بينه وبين التوراة والإنجيل،ويؤكد هذه القرابة صراحة،كلما جدت المناسبة لذلك كما جاء في نص هذه الآية؛قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾[يونس:37] ولكنه" يتسم بطابعه الخاص فهو في كثير من المواضيع يبدو مكملاً أو مصححاً معلومات الكتاب المقدس،فإنه يحتفظ بصورته الخاصة في كل فصل من فصول الفكرة التوحيدية"[2].

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف بين مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز

رغم التشابه الذي عرفه مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز في تناول مسألة الوحي القرآني، إلا أن كلا منهما اتجه إلى منهج وأسلوب مغاير عن الآخر في هذه الدراسة نذكر البعض منها:

الفرع الأول:هدف الدراسة

حيث نجد أن محمد عبد الله دراز يهدف في كتابه إلى دراسة كيفية الوحي القرآني لإثبات نسبته لله عز وجل دون سائر خلقه بدليل قوله:" لم نرد أن نعرض للقرآن في جوهره بل كان قصارى ما صنعناه أننا درسنا الطريق التي جاء منها فما وجدنا إلا شواهد ناطقة بأن هذا القرآن ليس له على ظهر الأرض أبٌ ننسبه إليه من دون الله، ليتعرف على الأشياء بمثالها وأماراتها ولنتقدم خطوة أخرى نبين فيها أن هذا الكتاب الكريم يأبى بطبيعته أن يكون من صنع البشر [3] وكما قد ذكر أنه عبارة عن بحوث قدمها في دروس التفسير قائلا: "هذه بحوث في القرآن الكريم ،قدمتها بين يدي التفسير لطلبة كلية أصول الدين بالجامع الأزهر

[1] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية،ص210

[2] المصدر نفسه، ص199.

[3] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم،ص74.

المعمور،أردت أن أنعت كتاب الله بحليته وخصائصه ،وأن أرفع النقاب عن جانب من الحقائق المتصلة به، وأن أرسم الخطة التي ينبغي سلوكها في دراسته[1].

أما مالك بن نبي يهدف إلى تكوين مقياس عام للنبوة يمكن من خلاله إثبات مصدرية الظاهرة القرآنية ، في مقاربة تخدم الصورة الموضوعية والبعيدة عن التحيز الديني للذات المحمدية باعتبار الأصل الإسلامي للمفكر مالك بن نبي في محاولة عرضها كظاهرة لها مبدؤها وعناصرها وأدلة على وجودها؛ نظرا للتتابع وتكرار سلسلة الأنبياء، وأنها ليست بمختصرة في شخص الرسول ﷺ إنما حصل الفرق في أن الظاهرة القرآنية تعبر عن نهاية تلك السلسلة بدليل استمرارية إعجازه وذلك باستقراء أقواله وتحليلها.

يقول مالك بن نبي: لكي نستخلص من خلال الصفات الخاصة لهذا التكرار أي مظاهر النبوة؛ القانون العام الذي يمكن أن يسيطر على الظاهرة في جملتها[2].في مقياس ثابت يتيح له الحكم على الظاهرة بشكل شخصي ومباشر [3]. وهو يرى بعد دراسته للحركة النبوية عبر التاريخ(...)والسمة المميزة للنبوة، التي هي الحقيقة الجوهرية في مذهب التوحيد أب الرسالات السماوية وبرهانه الواقعي، تلك الحقيقة المطلقة التي يؤكد الأنبياء معرفتها بشكل شخصي وخاص؛ الذي هو سرية الوحي[4].

ليثبت بذلك أن الضمير الديني للإنسان ظاهرة أصيلة في طبيعته وهو في طرقه لإثبات ذلك يقول بأنه مهما كان الأمر فان ما يطلب من أي مذهب حين يضع مبدئه الأساسي أن يكون دقيقا مع نفسه متوافقا في جميع نتائجه وهي الطريقة العلمية الوحيدة في الحكم على القيمة العقلية بأي مذهب في ذاته وعلى قيمتها بالنسبة لأي مذهب آخر[5] .

ولكن رغم قوله أن ما يطلب من كل مذهب حين يضع مبدئه الأساسي أن يكون دقيقا مع نفسه متوافقا في جميع نتائجه، كطريقة علمية وحيدة في الحكم على القيمة العقلية لأي مذهب ؛ فإننا نرى أن هذا الشرط قد سقط في عدة من المواضع لاعتبار

---

[1] المصدر نفسه،ص9.

[2]المصدر السابق،ص87.

[3] المصدر السابق، ص108.

[4] المصدر السابق،ص86.

[5]المصدر السابق ،ص71.

تناقض بعض النتائج مع المقدمات التي طرحها خاصة فيما يخص قضية الإعجازنحن نضع في حسباننا أن محاولته طرح لا يستهان به في ظل كل المعطيات التي عاشها، وأما فيما يخص قضية أحكامه النفسية على الذات المحمدية،ناقشناها في إطار استخدامه لتعبيرات قد توهم لمن ليس لديه فكرة عن عصمة النبي ﷺوعن سيرته بأنه لا فرق بينه وبين أية حالة نفسية إنسانية بشكل، فينقض تلك الخصوصية التي قال بها في المقياس العام للحركة النبوية.

الفرع الثاني: الأسلوب

من خلال دراستنا لكل من كتاب النبأ العظيم والظاهرة القرآنية نجد محمد عبد الله دراز فصيح في كتابه وسلس في أسلوبه حتى أنه يخاطب أبناء هذا الجيل الذي بَعُد عهدهم بكتب السلف الصالح والعلماء السابقين، بأسلوبهم المعروف حيث يقول في مقدمة كتابه: "لا يتطلب من قارئه إلا أن يعود بنفسه صحيفة بيضاء من فطرة سليمة ؛ وحاسة مرهفة ؛ ورغبة صادقة في الوصول إلى الحق في شأن هذا القرآن[1]".

أما مالك بن نبي : فإن كتابه يحتاج قارئه إلى جهد ، وخاصة ممن ليس له سابق عهد في قراءة كتب مالك رحمه الله ومنشأ هذا أمران :

أولا: أن لغة مالك بن نبي في كتابه غير مألوفة، ولا تخلو من بعض الصعوبة.

ثانيا: أن مالكا إنما يكتب بالفرنسية، ثم يترجم المترجمون ما يكتب من أفكار. ولا شك أن الترجمة تحور بعض أفكار الكاتب أحياناً، وربما تفسدها، أو على الأقل لا تعبر تماما عما يريد كاتب الأصل قوله[2].

الفرع الثالث: توجه الدراسة

اعتنى الشيخ محمد عبد الله دراز بالجانب اللغوي بشكل أكبر من الجوانب الأخرى في العديد من ردوده على الشبهات المثارة في لغة القرآن "بأنه في كل شأن يتناوله من شئون القول يتخير له أشرف المواد ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها ،بحيث لا

[1] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم ، المقدمة .

[2] إسلام ويب، حول كتاب الظاهرة القرآنية، كتب قرآنية معاصرة، 03\05\2009 ، HTTPS .WWW.ISLAMWEB.NET

يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة ، وصورته الكاملة "[1]. "ليأتي القرآن بما يعجز البشر من الناحية البيانية"[2]، فيكون بذلك المثل الأعلى.

أما مالك بن نبي فلا يعالج المسألة في صورتها الأدبية كأداة لغوية، فهو يصرح بذلك في إطار تناوله لمسألة بشرية النبي ﷺوعلوية القرآن قائلا:" لسنا نعالج هنا هذه المسالة في صورتها الأدبية، وإنما نعالجها من الوجهة النفسية التحليلية"[3]،من خلال مقام الذات المحمدية في الخطاب القرآني، ووضعها النسبي فيه[4]،ودراسة النتيجة النفسية للموقف النبوي. وهو لا يتناول الجانب اللغوي إلا في تناوله للانتقال بين الضمائر في هذا الخطاب استنادا لقوله: "لأنه لا يمكن أن يكون خطأ نحويا وهو ما لا يمكن تصوره في الأسلوب الأدبي الكامل الذي يعد البرهان العظيم على دعوة النبي ﷺ"[5].

الفرع الرابع : المواضيع المختلف فيها

ونجد من بين أهم مواطن الاختلاف بين المفكرين؛ ما يأتي:

1 – الإعجاز:

نجد محمد عبد الله دراز في الإعجاز القرآني لا يقف عند الإعجاز البلاغي فحسب، بل إنه يتجاوزه إلى أنواع أخرى من الإعجاز: في العلوم، وفي الأثر الإصلاحي والتهذيبي، وهنا لا بد من تنبيه مفاده أن: إعجاز البلاغة أولى من غيره في الرجوع إليه للدلالة على الصلة بالله بدليل قوله: لأنها هي التي وقع من جهتها التحدي بالقرآن جملة وتفصيلا في سورة منه، فهو لا يأخذ بالأخرى إلا وجه الاستئناس، لأنها مدخولة بالاعتراضات الكثيرة والشبهات والأقوال المتعددة والأخطاء المتعلقة بقصور عقل الإنسان في الزمن والمكان،

---

[1] محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم، ص90.

[2] المصدر نفسه، ص88.

[3] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية،ص164.

[4] المصدر نفسه، ص162.

[5] المصدر السابق، ص164.

البلاغة عنده هي البداية والنهاية أيضا ، صحيح أنها في حاجة إلى التاريخ ، ولكنها أقرب إلى الإقناع بالرجوع إلى كبار البلاغيين وعلماء اللغة من العرب والمسلمين عامة[1].

أما مالك بن نبي فإنه يرى أن الإعجاز القرآني لا يقتصر على الجانب اللغوي الذي أدركه العرب الأوائل بالتذوق الفطري السليقي. بل يتعداه إلى جوانب أخرى "تاريخية وتشريعية وعلمية".فالمسلم اليوم مضطر إلى أن يتناول هذه المسألة بصور أخرى كأن يتناول الآية من ناحية تركيبها النفسي، فالظروف النفسية التي نزل فيها القرآن تغيرت مع تطورات التاريخ الإسلامي فصار إدراك الإعجاز في القرآن من طريق التذوق العلمي أكثر من أن يكون من طريق التذوق الفطري [2] .

2 – التركيب اللفظي للقرآن الكريم

أُدرجتْ هذه المسألة ضمنيا لدى كل منهما؛ إذ يقول محمد عبد الله دراز: "لأني أقرأ القرآن فلا أجده يخرج عن معهود العرب في لغتهم العربية: فمن حروفهم رُكِّبَتْ كلماتُه. ومن كلماتهم أُلفت جمله وآياته، وعلى مناهجهم في التأليف جاء تأليفه، فلا يرى جديدا في مفردات القرآن مما لم يعرفه العرب في مواد اللغة و أبنيتها ولا جديد في تركيب القرآن مما لم تعرفه العرب من طرائقها ولم تأخذ به في مذاهبها، حتى نقول: إنه قد جاءهم بما فوق طاقتهم اللغوية، ويقول محمد عبد الله دراز في الرد على من قال بعكس ذلك في إطار رده على هذه الشبه : أن القرآن الكريم لم يخرج في لغته عن سنن العرب في كلامهم إفرادًا وتركيبًا فذلك في جملته حق لا ريب فيه، وبذلك كان أدخل في الإعجاز، وأوضح في قطع الأعذار،قَالَ تَعَالَى:﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾[3] [فصلت:44]

---

[1] محمد الزاوي ،حقيقة الوحي في نظر علامة دراز ،إحياء للتنمية الأخلاقية ،www.ihyae.com، 12/01/2021

[2] عبد الرحمان تركي:"إعجاز القرآن من خلال الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي"، مجلة البحوث والدراسات ، عدد 1، معهد الآداب واللغات ، المركز الجامعي بالوادي ، ص13.

[3] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص87،88.

ويرى مالك بن نبي "أن بعض المفسرين قد ذهبوا إلى أن القرآن لم يستخدم مطلقاً ألفاظاً أجنبية عن لهجة الحجاز، مع أنه من البين أن في القرآن ألفاظاً جديدة، وخاصة تلك الألفاظ الآرامية التي استخدمها لتعيين مفاهيم توحيدية جديدة من الناحية النوعية، كلفظ ملكوت، والأسماء الخاصة مثل؛جالوت وهاروت وماروت، فمن وجهة الدراسات اللغوية يبدو القرآن وكأنما قد استحضر ثروته اللفظية الخاصة، وأنشأها بطريقة فجائية وغريبة،وبهذا تكون اللغة العربية قد مرت طفرة من المرحلة اللَّهجية الجاهلية إلى لغة منظمة فنياً، هذه الظاهرة قد خلقت من الوجهتين الأدبية واللغوية فصلاً تاماً بين اللغة الجاهلية واللغة الإسلامية،إذ لم يحدث للغة العربية تطور تدريجي، بل بعض ما يشبه الانفجار الثوري الباغت، كما كانت الظاهرة القرآنية مباغتة، مما يجعلها فريدة في تاريخ اللغات"[1].

فكان حتما على القرآن إذا ما أراد أن يُدخل في اللغة العربية فكرته الدينية، ومفاهيمه التوحيدية أن يتجاوز الحدود التقليدية للأدب الجاهلي، بتغييره الأداة الفنية في التعبير أحدث انقلاباً هائلاً في الأدب العربي، فأدخل في الجملة المنظمة مفاهيم وموضوعات جديدة، لكي يصل العقلية الجاهلية بتيار التوحيد، هذه المفاهيم ليست في آيات القرآن مترجمة فحسب، بل إن القرآن كيّفها حتى تناسب العقلية العربية[2].

و نحن لم نقف في الحقيقة على كلام في التركيب اللفظي للقرآن على حد علمنا؛ كمثل وجهة نظره هذه؛حسب النموذج الذي قدمه في طرحه لموضوع الصورة الأدبية القرآن. ولكن ذلك رغم دقة تركيبه ومنطقية طرحه إلا أنه قد اشتبه علينا؛ فقوله في أثر الإعجاز على الذوق الفطري عند العرب في الجاهلية يدل على أن هذا الكلام ليس فيه من غير لغة العرب.فهو بذلك قد أسقط شرط الإعجاز الذي ينص على أن المعجزة تكون من جنس ما يتقن القوم.

وبخصوص نفي محمد عبد الله دراز لوجود أية صلة للقرآن بغير لغة العرب وبصورة عامة بدا كلامه صحيحا إلى حد بعيد، ولكن هناك من يثبت أن هناك ألفاظ في لغة العرب

[1] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص191.

[2] المصدر السابق، ص192.

يمتد أصلها إلى لغات أخرى كالفارسية والآرامية أي كونها متداولة في معهود العرب وليس جديدا عنها وهو ما نميل إليه .

وهو الفرق بين قول كل من مالك بن نبي الذي يرى فيها ألفاظا جديدة ودراز الذي ينفيها تماما وهي مسألة لها تاريخها العريق وهي ضمن الدخيل في اللغة العربية "وهو ما دخل اللغة العربية من مفردات أجنبية، سواء في ذلك ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم"[1]. يقول السيوطي:"وثَمَّ ألفاظ شائعة على الألْسنة لكنها أعجمية الأصل تأتي في نوع المعَرَّب"[2].

[1] علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ط 3، مصر، دار نهضة مصر، 2004م، ص153.

[2] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية،1998م ج1، ص95.

خاتمة

تزايدت في الآونة الأخيرة وتنوّعت القراءاتُ المعاصرة للقرآن الكريم، وتعدَّدت المناهج التي تستند عليها في قراءة النصّ القرآني؛ فمنها من كان وثيق الصلة بقطعيات الوحي القرآني المحدِّدة لحقيقته، ومنها من خالفها ممثلة بالقراءات الحداثية للوحي، نتيجة اللقاء بين الشرق والغرب، ومن ثم فإنّ الفضاء المعرفي الوثوقي الذي تشكّلت فيه المتون التفسيرية قد تراجع أمام الفضاء المعرفي الحديث، المبني على المنهج الحسي التجريبي، وذلك حين اتصل الشرق الإسلامي بالغرب فأخذ يستقي من مناهله العلمية، المتبنية للحسّ والتجربة، وترك الاعتراف بوجود ما لم يثبت وجوده بالتجربة الحسيّة، وربما ألْحق العقلَ في عدم الاعتراف بغير المحسوسات، ولم يكن ذلك التراجع للعلم القديم عن كسر فيه أحدث في الدّين خرقًا اتسع على راتقه، واقتضى إزاحته، بل عن إسقاطات العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية ومناهجها على العلوم الإسلامية.

ومع ذلك فهناك من حاول توجيه هذه القراءات الخاطئة بالاستفادة الممكنة من المنهجيات المعاصرة وبما لا يخالف المحدِّدات القطعية للوحي، والتي تقتضي التسليم بحقيقة النصّ القرآني والتصديق والالتزام به؛ وأنه محفوظ لم تطله أيدي التحريف، وأنه آخر ما أنزل الله وأنه رسالته الخاتمة وللناس كافة.

ارتسمت معالم هذه الاستفادة في الرؤية المعرفية والمنهجية لمحمد عبد الله دراز ولمالك بن نبي في دراستهما للوحي الكريم،كأبرز علمين من أعلام هذه الأمة؛ والتي حاولنا إيضاحها في دراستنا هذه، محاولة تهدف إلى معرفة كيفية إثبات كل منهما لمسألة حقيقة الوحي القرآني، ومقابلة نتائج دراسة كل منهما مستخلصين بذلك نتائج عدة ندرجها في الآتي:

1 –أن مسألة الوحي برزت عندهما برؤية جديدة استمدت عناصرها من القرآن الكريم والسنة النبوية خصوصا، وأيضا من الشواهد التاريخية والتحليلات العقلية والنفسية بطريقة علمية تقوم على المنهج والتركيز على عناصر الموضوع الجوهرية بأسلوب مبدع و حجة قائمة وأدلة كافية وإجابة شافية.

2 – استخدام كل منهما للدليل النبوي في إثبات مصدرية القرآن الكريم هو أمر غير مألوف في الدراسات العقدية أو حتى في العلوم الشرعية الأخرى التي تهتم بدراسة الوحي الكريم.

حيث قامت جهودهما على التأمل في الذات النبوية والوصول إلى المفارقات الدالة على تباين كل من الذات المحمدية كرسول والذات القرآنية كرسالة.

3 – سلك بن نبي في إثبات مصدرية محاولة لرسم منهج تقاس به مصداقية النبوة كظاهرة ومنها إلى تأكيد حقيقة الوحي، بخلاف الشيخ دراز الذي جاءت محاولته تطبيقية أكثر من كونها إطارا نظريا جديدا باستخدام منافذ جديدة خاصة من الجانب الاستدلالي.

4 – استخدام المناهج الغربية ليس دائما ذا نتائج سلبية؛ فمن خلال استخدام المنهج التاريخي لدى كل من مالك بن نبي والشيخ دراز يبطُل مفهوم تاريخية النص القرآني والتي تجعله حبيسا لإطار زمن نزوله أو محصورا فيه. بل على العكس منه فإنه يفتح لقارئه مجالا رحبا بما فيه من دساتير كل هذا الكون قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾ [الأنعام:38]

5–الاضطراب المفاهيمي عامة يؤدي إلى نتائج مغلوطة وفي دراستنا لمفهوم الوحي بين المدرسة الإسلامية والمدرسة الغربية. نجد إسقاطا مباشرا لنتائج مفهوم الوحي عموما عند الغرب على الوحي القرآني بشكل ملحوظ رغم اختلاف المقدمات. والتي جعلتهم يفسرون القرآن بشيء من الوضعية المادية وشيء من العلوم البشرية.

وليس لنا بعد كل هذا إلا أن نحمد الله ذي الفضل والمنة فالحمد لله رب العالمين.

❖ الفهارس العامة

- ✓ فهرس الآيات القرآنية
- ✓ فهرس الأحاديث النبوية
- ✓ قائمة المصادر والمراجع
- ✓ فهرس المحتويات

1 – فهرس الآيـــــات القرآنـــيـــة

الآيـــــــــــة	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾	البقرة	146	91
﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾	البقرة	151	99
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾	البقرة	178	53
﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾	البقرة	179	55 -54
﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢﴾	البقرة	212	53
﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾	البقرة	284	-37
﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾	آل عمران	44	80
﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾	آل عمران	65	42

﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣﴾	آل عمران	93	99
﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٣﴾	**النساء**	23	95
﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾	المائدة	3	79 -41
﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾	المائدة	17	42
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ٤٤﴾	المائدة	44	-33 106

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾	المائدة	67	40
﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٠﴾	الأنعام	30	98
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾	الأنعام	38	113
﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾	الأنعام	50	38
﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨﴾	الأنفال	68-67	36
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٤٠﴾	التوبة	40	76
﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦﴾	يونس	16	39
﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٧﴾	يونس	37	107

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾	يونس	38	98
﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٩٤﴾	يونس	94	85
﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾	هود	1	52
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾	يوسف	2	34
﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣﴾	الرعد	43	42
﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥﴾	إبراهيم	5	97
﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾	الحجر	9	-33 106
﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨﴾	النحل	68	14
﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾	النحل	102	17
﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾	النحل	123	70
﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ٨٦ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ٨٧﴾	الإسراء	87-86	39
﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ	الإسراء	88	40

﴿وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾			
﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾	الإسراء	93	90-89
﴿قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ٩٥﴾	الإسراء	95	90
﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾	الكهف	104	05
﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ ١١٤﴾	طه	114	93
﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٤﴾	الأنبياء	24	19
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾	الفرقان	32	94
﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾	الشعراء	192-194	16
﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾	القصص	7	14-13
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦﴾	القصص	86	71-39
﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾	الأحزاب	21	88

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾	الأحزاب	40-38	05
﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾	ص	70-67	80
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾	فصلت	44	111
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾	الشورى	51	9
وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾	الشورى	51	16
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾	الزخرف	27-26	70
﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا	الأحقاف	12-9	5

كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾			
﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾	الفتح	2	88
﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾	الفتح	27	16
﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾	النجم	4-1	84
﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾	النجم	5	43-18
﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾	النجم	13-11	94
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ۙ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾	القمر	25-23	100
﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾	المنافقون	1	96
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾	المنافقون	4-3	96

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾	المزمل	5	83
﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾	المدثر	2-1	75
﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾	المدثر	02	86-82
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝١٦﴾	القيامة	16	37
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾	العلق	3-1	34
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾	الشرح	2-1	87

2 - فهرس الأحاديث النبوية

الحديث الشريف	الصفحة
لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الْمُبَشِّرَاتُ. قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ قَالَ:الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ .	14
قال: "فأوحى الله إلي ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة"	16
أن رسول الله ﷺ قال: "إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب"	16- 14
عن عائشةرضي الله عنها قالت:(أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)	15-73
قالت الربيع بن معوذ بن عفراء: جاء النبي فدخل حين بني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين.	37

قالت عائشة ﵂كان رسول الله ﷺإذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيهن أخرج سهمها خرج بها رسول الله(...)ثم قال أما بعد يا عائشة﵂ إنه بلغني كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله .	36-35
عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: كَانَتِ الْيَهُودُ يُحَدِّثُونَ أَصْحَابَ النَّبِيِّﷺ فَيَسِيخُونَ كَأَنَّهُمْ يَتَعَجَّبُونَ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: لَاتُصَدِّقُوهُمْ،وَلَاتُكَذِّبُوهُمْ.	62
وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها صنع الله وساعة يخلو فيها يخلو فيها لحاجته من مطعم ومشرب وعلى العاقل ألا يكون ظاغنا إلا لثلاث : تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم.	72
والله ما يخزيك الله والله ما يخزيك الله أبداً،إنك لتصل الرحم،وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف،وتعين على نوائب الحق	73
والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله وأهلك دونه	75
(لاأشك ولا اسأل)	85
إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزنون	89
عن أنس أن النبيﷺمر بقوم يلقحون فقال:" لولم يفعلوا لصلح" قال فخرج شيصاً،فمر بهم فقال: "مال نخلكم"(...) قال: " أنتم أعلم بأمر دنياكم".	93

5 – قائمة المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا: المصادر

.الآلوسي شهاب الدين محمد، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني،تحقيق: علي عبد الباري عطية .دار الكتب العلمية بيروت : ط1 .1415هـ .

. الأرمي محمد الأمين بن عبد الله العلوي الهرري الشافعي، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف: د.هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط1،بيروت، دار طوق النجاة،2001م.

.الأندلسي أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير،تحقيق: صدقي محمد،(د.ط)،بيروت،دار الفكر.

. البخاري، الجامع الصحيح ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.

. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1،بيروت، دار الكتاب العربي،1405هـ .

الجزائري أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ،ط5 ،المدينة المنورة السعودية،مكتبة العلوم والحكم2002 م .

.دراز عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، ط1،القاهرة، دار ابن الجوزي 2013م.

دراز محمد عبد الله ، المختار من كنوز السنة النبوية شرح أربعين حديثا في أصول الدين، (د.ط)، دمشق،محمد هاشم الكتبي، 1977م.

.ابن هشام عبد الملك، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (د.ط)، بيروت، دار الجيل، 1411هـ .

. الزركلي خير الدين ، الأعلام، ط7،دار العلم للملايين ، بيروت ، 1926م .

. بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ط3، بيروت، دار صادر،1414هـ .

. بن نبي مالك، الظاهرة القرآنية،ترجمة عبد الصبور شاهين،ط17، دمشق، دار الفكر، 2019م.

.العسقلاني ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، 1379 هـ.

.أبو الفيض، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة محققين، (د.ط)، دار الهداية ،(د.ت).

. الفراء،أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ،معان القرآن،ت: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي،ط1، مصر،دار المصرية للتأليف والترجمة .

.ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،(د.ط)،:دار الفكر 1979م.

.القشيري ابن الحجاج أبو الحسين مسلم، الصحيح ،تحقيق: عدد فؤاد عبد الباقي، (د،ط)،بيروت،دار إحياء التراث،(د،ت).

. القضاعي أبو عبد الله محمد بن سلامة المصري ،مسند شهاب،تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي،ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة،1986م.

. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط:3،مؤسسة الرسالة.

ثالثا: المراجع

.أعضاء ملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين،(د.ط)،(د.ن)، (د.ت).

. مجموعة مؤلفين"الندوة العالمية للشباب الإسلامي"، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف ومراجعة:مانع بن حماد الجهني،ط4، دار الندوة العالمية، 1420هـ.

.بدوي عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط3، بيروت، دار العلم للملايين،يوليو1993م.

.بريون فوزية، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، ط1،دمشق، دار الفكر 2010م.

.البغوي أبو محمد الحسين، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1،بيروت،دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.
.البيومي محمد رجب، النهضة الإسلامية في سير أعلامه المعاصرين ،ط1، دمشق، دار القلم 1995م.
. دراز محمد عبد الله، من خلق القرآن، تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، ط إدارة الشؤون الدينية، قطر، 1979م.
.دراز محمد عبد الله ، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، كويت، 1902م.
. وافي علي عبد الواحد ، فقه اللغة، ط 3، مصر، دار نهضة مصر، 2004م.
.الزرقاني محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط:3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه،(د.ت).
.الزمخشري،أبو القاسم محمود ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي،ج2.
.فضلية أحمد مصطفى،محمد عبد الله دراز دراسات وبحوث، تقديم : علي جمعة،ط1،القاهرة،دار القلم،2007م.
.كحالة عمر رضا ، المعجم المؤلفين باب الميم ، ط1، مؤسسة الرسالة، 1993م،ج10
.ماضي محمود،الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، ط1، الإسكندرية، دار الدعوة 1996م.
. المسيري عبد الوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،ج2.المصدر: الشاملة.
.مجموعة مؤلفين، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ط1، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،1421هـ.
. ميلاد زكي، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة دراسة تحليلية نقدية ،(د.ط)،بيروت،دار الفكر المعاصر 1998م.

.مبروكة جعوان، منهج الشيخ محمد عبد الله دراز في التفسير من خلال كتابه النبأ العظيم، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإنسانية، قسم العلوم الإسلامية، أدرار، 2016م.

.مراد يحيى، أسماء المستشرقين، (د.ط)،كتب عربية، (د.ت).

. بن نبي مالك، مذكرات شاهد للقرن، قسم الطفل، دمشق (د.ط)، دار الفكر 1969م.

. نولدكه تيودر ، تاريخ القرآن، تعديل: فريديرش شفالي،ترجمة: جورج تامر وآخرون، ط1، بيروت، كونراد- أدناور، 2004م.

.السيد أبو محمد عبد الله بن محمد، الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة،ط1،دمشق، دار الفكر .

.السيوطي،المزهر في علوم اللغة وأنواعها،ط1،بيروت،دار الكتب العلمية،1998مج1.

.عبده محمد ، رسالة التوحيد، (د.ط)، مطابع دار الكتاب العربي، 1966م.

.العروسي عبد الله بن حمد، مالك بن نبي حياته وفكره، ط1، بيروت ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2012م.

.رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر، العباب الزاخر،(د.ط)، (د.ن)،(د.ت).

.الرومي فهد بن عبد الرحمن ، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط12، (د.ن)، 2003م.

.أبو شهبة محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم،ط3،الرياض،دار اللواء،1987م.

.الغزالي محمد،دفاع عن العقيدة والشريعة، ط7، نهضة مصر، 2005م.

.الغزالي مشتاق بشير، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، ط1، دمشق ، دار النفائس 2008م.

رابعا: الرسائل الجامعية

.الساعدي اصبيع محمد، النبوة والوحي في كتاب الظاهرة القرآنية ،رابطة الأدب الحديث، 2016 م.

.الحازمي حسن ثابت صلاح، التداخل المعرفي بين مسائل علوم القرآن وعلوم البلاغة،كلية الشريعة وأصول الدين، قسم أصول الدين، جامعة نجران، المملكة العربية السعودية.

.أبو زيد محمد رياض دعاء،الوحدة الموضوعية في السورة المتعددة القضايا في التفسير الإذاعي للدكتور محمد عبد الله دراز، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس 117، العدد 24.
.زعبي سعدية، محمد عبد الله دراز وجهوده العلمية والدعوية، مذكرة ليسانس، معهد العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي،2019م.
.حميدي بن شارف ،أساليب الإيجاز في بناء الخطاب القرآني "مقاربة أسلوبية"، درجة الماجستير، كلية الآداب اللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2015م.
.شبي غانية، مالك بن نبي ورؤيته في الإصلاح الاجتماعي، مذكرة ليسانس، الأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، 1435هـ.
.بن عمار محيي الدين، جهود محمد عبد الله دراز في التفسير الموضوعي،دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، باتنة،2012م.

خامسا: المجلات والدوريات

.باي زكوب عبد العالي وسوهيرين محمد صوليحين، "الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس:حياته وجهوده التربوية"، مجلة الإسلام في آسيا ، العدد 1، 2015م ،الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية.
.تركي عبد الرحمان، إعجاز القرآن من خلال الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ، مجلة البحوث والدراسات ، عدد 1، معهد الآداب واللغات ، المركز الجامعي بالوادي.
. التركي إبراهيم بن منصور،القول بالصرفة في إعجاز القرآن الكريم-عرض ودراسة-مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثاني،2009م.
. سعود الطاهر،"مشروع النهضة في فكر مالك بن نبي وتمثلاته لدى النخبة الجامعية الجزائرية بين زمن الاستقلال والزمن الراهن :استطلاع ميداني"،إضافات ،العددان 47-48، ٢٠٠٩م.

خامسا:المواقع الإلكترونية

.الزاوي محمد،حقيقة الوحي في نظر علامة دراز ،إحياء للتنمية الأخلاقية، www.ihyae.com،12/01/2021.

.حفصة المغربية: "شبهات وردود"، موقع دار السلام والإسلام، منشور الجمعة يناير
https//dar-essalam.yoo7.com ، pm17،2014،3:06
.إسلام ويب، حول كتاب الظاهرة القرآنية
.المقالات،ISLAMWEB:NET،03.09.2009، مأخوذ يوم 2021،05،01.

سادسا: المراجع الأجنبية

Dilmi Zohier,Malek Bennabi(1905-1973E.C) et les conditions d'une nouvelle renaissance de la société arabe-musulmane,.

فهـرس الموضوعـات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	02
شكر وعرفان	03
ملخص الدراسة	04
مقدمة	05
المبحث الأول: مدخل تمهيدي	11
المطلب الأول :مفهوم الوحي القرآني في المدرسة الإسلامية	12
الفرع الأول:في مفهوم الوحي بين اللغة والاصطلاح	12
الفرع الثاني : القرآن في اللغة والاصطلاح	17
المطلب الثاني: المنظور الاستشراقي للوحي القرآني	18
الفرع الأول :مفهوم الوحي عند المستشرقين	18
الفرع الثاني: لفظة القرآن في المنظور الاستشراقي	20
المطلب الثالث :التعريف بالشخصيات والكتب المعتمدة	22
الفرع الأول: محمد عبد الله دراز و كتابه "النبأ العظيم"	22
الفرع الثاني: مالك بن نبي وكتابه "الظاهرة القرآنية"	26
المبحث الثاني:الوحي القرآني في رؤيتي بن نبي ودراز	32
المطلب الأول :محمد عبد الله دراز ورؤيته للوحي القرآني	33
الفرع الأول: معنى القرآن الكريم والفرق بينه وبين الحديث القدسي	33
الفرع الثاني: القرآن الكريم إلهي المصدر	34
الفرع الثالث: الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم	44
الفرع الرابع: خصائص أسلوب القرآن الكريم	50

المطلب الثاني: الوحي القرآني في فكر مالك بن نبي	58
الفرع الأول: إعجاز القرآن وإشكالية المنهج	58
الفرع الثاني: المقياس العام لمعنى الإعجاز بالنسبة للأديان السماوية	60
الفرع الثالث: الحركـة النبويـة	64
الفرع الرابع: الإطار العام لظاهرة الوحي عند مالك بن نبي	65
الفرع الخامس: النبوة المحمدية	67
الفرع السادس: موقف مالك بن نبي من الوحي كمصطلح	79
الفرع السابع: القرآن وما فيه من تفاصيل كتب اليهود والنصارى	85
الفرع الثامن: النبوة المحمدية في الظاهرة القرآنية	91
الفرع التاسع: خصائص الوحي الظاهرية وصورته الأدبية	93
الفرع العاشر: الموضوعات القرآنية ومضمون الرسالة المحمدية	98
المبحث الثالث: الوحي القرآني رؤية مقارنة بين مالك بن نبي ومحمد دراز	102
المطلب الأول :أوجه التشابه بين مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز	103
الفرع الأول:نماذج من الردود على الشبهات	105
الفرع الثاني :من خصائص القرآن الكريم	105
المطلب الثاني :أوجه الاختلاف بين مالك بن نبي ومحمد عبد الله دراز	107

الفرع الأول:هدف الدراسة	107
الفرع الثاني: الأسلوب	109
الفرع الثالث : توجه الدراسة	109
الفرع الرابع : المواضيع المختلف فيها	110
خاتمة	114
الفهارس العامة	116
فهرس الآيات القرآنية	124-117
فهرس الأحاديث النبوية	125
فهرس قائمة المصادر والمراجع	127
فهرس الموضوعات	133